مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: نموذج القيادة الامريكية للنظام العالمي الجديد دراسة تحليلية
اسم الكاتب: م.د. سرمد عبد الستار امين
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/6835
تاريخ الاسترداد: 2026/11/03 02:07 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

نموذج القيادة الامريكية للنظام العالمي الجديد
دراسة تحليلية

المدرس الدكتور
سرمد عبد الستار امين(*)

تمهيد :

قد لا يخرج هذا العمل في اطاره العام عن سلسلة تلك الاعمال الكثيرة التي شهدتها مرحلة ما بعد الحرب الباردة والتي سعت الى توصيف السلوك السياسي لقوة عظمى مهيمنة ((الولايات المتحدة الامريكية)) في السياسة الدولية والاستعانة بكل ما هو متاح من خزين نظري او تطبيقات عملية لاستشراف مستقبل هذه القوة العظمى واتجاهات صيرورتها وفي كلا الاتجاهين المتضادين للاستنتاج سواء على مستوى التصاعد او على الاقل الاستمرار في الاداء او على مستوى الانكفاء في الامكانية والدور معاً. الا انه قد يجد من يحسب له ميزتين اساسيتين :

الاولى: انه سيتجاوز جدلية الاستمرار او الانكفاء في الدور الى تحليل طبيعة الدور ذاته والمضامين المختلفة التي ينطوي عليها النموذج في القيادة العالمية والآثار التي سيتركها في نسيج العلاقات الدولية والخارطة الجيوسياسية للعالم المعاصر.

الثانية : انه يسعى الى توظيف ادوات تحليل متعددة مستمدة من مناهج مختلفة ((التاريخي والقانوني والفلسفي)) يوحدها هدف مشترك هو محاولة تثبيت معايير حقيقية يتم بموجبها عرض نموذج القيادة الامريكية للنظام الدولي الجديد على التحليل وتشخيص نقاط الالتقاء معها او الافتراق عنها بما يوفر افكاراً وتصورات افضل للتحقق من مدى صلاحية النموذج لاداء دور القيادة العالمية.

مع تأكيدنا على ان ذلك لا يعد التزاماً منهجياً في البحث بقدر ما يكون اتساقاً مع الايحاء الذي فرضه النزوع الشديد للولايات المتحدة الامريكية الى توظيف منطلقات فكرية وفلسفية وتاريخية متنوعة لتشكيل مشهدها الاستراتيجي الاخير في محاولة لاعادة عقارب الزمن الى الوراء كثيراً والى ما قبل عام ١٦٤٨ حينما كان يبدو مقنعاً تماماً للجميع عد السياسة العالمية لا تتميز بشيء اكثر من طابعها

الموسوم بالفوضى من ناحية يقابله نهوض امبراطوريات قوية من ناحية ثانية قامت كل واحدة منها بتوحيد وترتيب النظام الدولي الواقع تحت هيمنتها، ولما كان لكل امبراطورية دينها المهيمن ومصالحها الحاكمة وقيمها التي تؤمن بها بما يجعل من الصعب ايجاد قيم ومصالح مشتركة مع الاخرين فان النتيجة المنطقية لنزوع كهذا هو ان ينشأ نظام من دول اكثر منه بمجتمع دولي متماسك، ويكون الصراع الدولي بين هذه الدول كلياً بابعاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية ليصبح صراعاً من نمط حضاري لا مجال للالتقاء فيه.. وهنا يتجلى الهدف الذي تسعى قيم النموذج الامريكي لتحقيقيه والذي يتجسد في اعادة قيم الصراع القديمة الى الحياة من جديد لتبرير واقع الهيمنة في النظام.

وهنا يحصل الفصل التام بين قيم الحضارة المعاصرة التي تدخل قرنها الحادي والعشرين والتي تمثل اخر مدارج التطور في الفكر والسلوك الانساني وبين قيم تعود لقرون مضت ولكنها على ما يبدو لا تزال قابعة في البنى النفسية والسلوكية لقوة عظمى كالولايات المتحدة الامريكية تدفع العالم قسراً للعودة اليها من ابواب متفرقة جديدة، رغم ان التاريخ يقول بأنها قد كلفت العالم باسره دماء غزيرة ومساحات شاسعة من الالم والمرارة لتجاوزها.

انه صراع بين ارادتين ونمطين من القيم احدهما يغوص في الجانب المظلم من الماضي والاخر يتطلع الى مستقبل افضل للبشرية، وهنا يصبح للقيم وللمعايير الاخلاقية دورٌ مميز في الحكم على المنطلقات والنتائج.

والسبب الأساس في الركون الى هذه المنطلقات هو تلك الثنائية التي تحدث عنها الفلاسفة والمؤرخون ابتداء من ابن خلدون في مقدمته العتيدة مرورا بكل المحدثين في الغرب أمثال شبنغلر وتوينبي والاخوين بروكس والتي تركز على تكامل النسقين المادي والمعنوي كضرورة لازمة في بناء القطب الاعظم الذي يتطلع الى ممارسة دور القيادة العالمية، وبدون هذه التلازمية أو وجود أحد أركانها يصبح البناء متعكزا على ساق واحدة تتهده بالسقوط عن كل منعطف حقيقي أو تحدٍ مهم لهيمنته المنفردة على العالم وهذا سياق تاريخي مرت به كل تجارب البناء الامبريالي في العالم وقادت بالنتيجة الى تحول النظام الدولي من شكله الاحادي الى الثنائي أو المتعدد الأقطاب كنتيجة أو خلاصة نهائية للعملية برمتها.

ووفقا لما ورد في أعلاه يمكننا أن نطرح التساؤلات الآتية والتي ستشكل جوهر بحثنا هذا وهي:-

- ماهي الخصائص التي لابد من توافرها ليصبح النموذج قائدا على المستوى العالمي؟
- ماهو المفهوم الامريكي لنموذج الدولة القائدة في العالم؟
- ماهي جوانب الخلل في بناء نموذج القيادة الأمريكية للعالم المعاصر؟

- كيف أثر سوء الفهم الامريكي لنموذج القيادة العالمية ووجود الخلل الفاضح في مكونات القوة الامريكية على سمعتها ودورها كقوة عظمى مهيمنة من ناحية وعلى الأمن والاستقرار في العالم من ناحية ثانية؟

المحور الأول– نظرة في خصائص نموذج القيادة–

كان علماء الاجتماع اسبق من غيرهم في تحديد المستلزمات الضرورية التي تُهيّئ الفرص الملائمة لولادة النموذج وتحوله الى طابع مميز لعصره ورافدٍ أساسيٍ لمرحلته الحضارية.

وتوزعت هذه المستلزمات على مستويين اساسيين هما:–

المستوى الاول: هو مستوى المستلزمات المادية في النموذج.

المستوى الثاني : هو مستوى المستلزمات القيمية او المعنوية للنموذج

ولذلك لابد لاي نموذج في مستوى القيادة او يطمح لاداء دور مماثل ان يؤطر في ثناياه خصائص كلا المستويين وان يمتلك قدرة مماثلة للتعبير عن حقائقها.

ومن بين المستلزمات المادية تبرز وبشكل اساسي المعايير الآتية[1]:

١. القدرة على الاختراع والابداع الذي يقترن بالقابلية الحضارية على خلق شي جديد اما ان يكون ذاتياً صادراً عن تفكير الانسان ذاته وقابليته واما ان يكون مصدره اجنبياً وتم الاضافة اليه فاصحبت ابداعات خلاقة مبنية على استعارات حضارية.
٢. التراكم الذي يشير الى اكتساب الابداعات السابقة واضافة اخرى جديدة لها.
٣. الانتشار وهو العنصر المهم لان قوة النموذج لا تأتي فقط من خلال الابداعات والاختراعات بل من خلال الانتشار ايضاً الذي يحدث بمساعدة وسائل واليات مختلفة كالتجارة والاتفاقيات الثقافية بين الدول وعامل الهجرة الذي يوفر امكانية نشر الابداعات الجديدة بشكل مباشر او غير مباشر عبر عملية الاحتكاك الضاري وليس اخيراً ما توفره التقنيات الحديثة التي بحوزة النموذج في ميدان الاتصالات الحديثة من امكانيات توسيع رقعة تأثيره في الاخرين خصوصاً في الجانب القيمي.

(١) د. محمد علي واخرون، دراسات في التغيير الاجتماعي ، القاهرة ، دار الكتب الجامعية ١٩٧٤، ص٦٨

والانتشار كعنصر رئيس يستلزم هو الاخر توافر ثلاثة شروط اساسية تعبر عن جوهر الجانب المذكور اعلاه هي[٢]:

أ. قدرة مركز الاشعاع في النموذج على نقل مقومات التقدم المتمثلة في المعرفة العلمية والتطبيقات التكنولوجية وراس المال والمهارات الى الاخرين.

ب. جاذبية قيم النموذج وقدرتها على اداء دور ريادي في اطار الحضارة الانسانية بما يجعلها مصدراً اساسياً للتجديد فيها.

ج. قدرة المجتمعات المحيطة بالنموذج على اقتباس الابداعات الجديدة والتفاعل معها رغم انها قد تكون مغايرة لانماط حياتهم.

هذا يعني ان سلسلة الوصف اعلاه تنطوي على جانب ذاتي يتمثل في القدرة على الخلق والابداع وامتلاك امكانية التأثير في الاخرين واخر موضوعي يتمثل في قبول وتفاعل المجتمعات الاخرى مع القيم وانماط السلوك المختلفة الو رادة اليها من مركز النموذج.

ان ما ذكر في أعلاه يقدم لنا ثلاث نتائج أساسية هي:

١. غياب الطبيعة القسرية في ولادة النموذج او تطوره او انتشاره وامتداد تأثيره الى الاخرين.

٢. ان طابع العملية باكملها يستند الى الابداع والحوار بمستوياته المختلفة بين النموذج وبيئته الخارجية.

٣. اننا لا نجد في هذه التحديدات ذكراً للحروب كآلية رئيسة في تحقيق عنصر الانتشار وتوسيع رقعة تأثير قيم النموذج مثلما يدفع بذلك ابرز منظري الولايات المتحدة الامريكية في السنوات القليلة الماضية في مفارقة غريبة تذهب الى عد الحرب احدى الطرق ((المتحضرة)) التي مكنت المبادئ والافكار الديموقراطية والليبرالية من الانتشار[٣].

بعبارة اخرى ان الجهد الانساني الخلاق هو العنوان البارز في قيام النموذج وتطوره والحوار هو جواز مروره عبر الحدود الى كل مكان في العالم تحقيقاً لمطلب الانتشار الذي يشكل ابرز مسلتزمات الدور العالمي.

---

(٢) المصدر نفسه ، ص٦٨.

(٣)Francis Fukuyama, The End of History, The National interest, Summer, 1989, P.4

فهل استطاعت الولايات المتحدة الامريكية ان تجمع ما بين المادي والمعنوي (القيمي) في نموذجها الذي تريد؟

وهل تمكنت من استيعاب ضرورات العلاقة والترابط الوثيق ما بين الذاتي والموضوعي الذي يمنح النموذج شرعية القيادة في النظام الدولي الذي ينتمي اليه ويضفي عليه صفة الاستمرار؟

قد يكون ممكناً الى حد كبير الاجابة عن هذين التساؤلين من خلال استعراض ملف النموذج الامريكي الذي يشتمل على ما تم انجازه في ميدان توفير المستلزمات المادية للنموذج ؟ والعوامل التي حكمت اخراج صورة القوة المهيمنة الوحيدة " كما يقول هنتغون " بالشكل الذي تبدو عليه عالمياً.

المستلزمات المادية للقوة في النموذج الامريكي

قد لا يختلف اثنان على ان الولايات المتحدة الامريكية قد جمعت في يديها عناصر القوة المختلفة وبشكل غير مسبوق. فهي القوة العسكرية المتفوقة الاولى في العالم وهي القوة الاقتصادية العظمى والقطب التكنولوجي الرائد.

وقد يفيد تفصيل هذه العناصر في معرفة اثرها في البناء الكلي لنموذج القوة المهيمنة.

١. القدرات العسكرية الامريكية

تستند القدرات العسكرية للولايات المتحدة الامريكية الى اعتى قوة عسكرية تقليدية في تاريخ البشرية مزودة باحدث معدات ومستلزمات الحرب الحديثة التي تمكنها من التمتع بقدرات فائقة في مجالي المناورة والسوق العام وامكانية عالية في الاداء في مختلف البيئات والظروف مع توفر القدرة على خوض غمار حروب متعددة ((وليس حرباً واحدة)) في اماكن مختلفة من العالم مع المحافظة على ذات التفوق في زخم الهجوم تحقيقاً لمتطلبات الاستراتيجية العسكرية الامريكية لمرحلة ما بعد الحرب الباردة وأحداث ١١ ايلول ٢٠٠١ والتي تقضي بضرورة توسيع نطاق التواجد والفعل العسكري الامريكي ليشمل مختلف بقاع العالم بما يوفر امكانية التحرك والفعل السريع خصوصاً في مناطق التوتر الدائم والثقل الاستراتيجي المتصل بجوهر الامن القومي الامريكي[٤].

(٤) مالك عوني، الاستراتيجية العسكرية الامريكية وموقعها من السياسة الخارجية الامريكية، مجلة السياسة الدولية، السنة ٣٣ ، العدد يناير ١٩٩٧، ص٩٧-ص٩٨.

وفي مجال اسلحة التدمير الشامل تمتلك الولايات المتحدة الامريكية الان قرابة ٢٠٠٠٠ رأس نووي ، ناهيك عن مخزونها الهائل من الصواريخ الحاملة للرؤوس النووية والمتعددة المديات من العابرة للقارات الى صواريخ الميدان(٥).

يضاف الى ذلك ما تمتلكه من ترسانة ضخمة مما يسمى بالاسلحة ذات النزعة الافنائية ((الكيمياوية والبايولوجية –واسلحة حرب البيئة المعاصرة- الأسلحة الآيكولوجية)) ويصبح بامكان هذه المخزونات الهائلة تدمير كوكب الارض مرات عدة.

وتنفق الولايات المتحدة الامريكية سنوياً ما نسبته ٦% من اجمالي دخلها القومي على التسلح وهي النسبة الاعلى في العالم وبما يوازي ٣٠% من اجمالي الانفاق العسكري العالمي(٦).

مع ملاحظة ان المبلغ الاجمالي المترشح عن هذه النسبة في تصاعد مطرد مع تزايد الدخل القومي الامريكي من ناحية والسعي الحثيث لزيادة الانفاق العسكري وتخصيصات الدفاع لتلبية متطلبات التوسع في الاداء العسكري الامريكي على المستوى العالمي خصوصاً في المرحلة الحالية التي تنتشر فيها القوة العسكرية الأمريكية على أراضي كل من أفغانستان والعراق بعد احتلال الأولى عام ٢٠٠١ والثاني عام ٢٠٠٣ وتصاعد الحاجة الى التمويل المستمر لهذا الانتشار غير المسبوق في القوة الامريكية خارج حدود الولايات المتحدة الامريكية منذ الحرب العالمية الثانية، ،وتماشيا مع هذه الحاجة فقد اقر الرئيس الامريكي (جورج بوش الابن) زيادة الميزانية العسكرية بنسبة ١٥% ليصل اجمالي المبلغ المخصص لنفقات التسلح والدفاع الى (٣٧٩) مليار دولار(٧) أي ما يعادل عشرة اضعاف الميزانية العسكرية للاتحاد الاوروبي.

---

(٥) نفس المصدر.

(٦) د. عبد الخالق عبدالله، النظام العالمي الجديد ، الحقائق والاوهام ، مجلة السياسة الدولية، العدد١٢٤، ١٩٩٦، ص

(٧) ارتفعت النفقات العسكرية الأمريكية بنسبة ٤١% حسب القيم الحقيقية عن النقطة الدنيا التي بلغتها في سنة ١٩٩٩ في أعقاب الحرب الباردة، ووقعت معظم الزيادة أثناء فترة ٢٠٠١- ٢٠٠٤ عندما ارتفعت نفقات الدفاع القومي بمعدل سنوي متوسط مقداره ١٠% سنويا، وتعكس تلك الزيادة الاعتمادات الاضافية لتمويل العمليات العسكرية الامريكية في افغانستان والعراق بالاضافة الى النفقات العسكرية المعتادة فقد بلغت الموازنة الدفاعية الأمريكية المطلوبة للسنة المالية ٢٠٠٦ (تشرين ١ ٢٠٠٥- ٣٠ أيلول ٢٠٠٦) ٣،٤١٩ مليار دولار ضمن سلطة الموازنة الخاصة بوزارة الدفاع، أي بزيادة ٤،٨ % حسب القيم الاسمية على السنة المالية ٢٠٠٥ ، وتبين الأرقام المعلن عنها للبرنامج الدفاعي للسنوات المقبلة ٢٠٠٦ – ٢٠١١ عن سلطة الميزانية المرتقبة الى ٥٠٢،٣ مليار دولار في السنة المالية ٢٠١١ ، ولا تشمل هذه الأرقام تمويل العمليات العسكرية في الخارج لأنها لا تدخل ضمن آلية موازنة الدفاع الأمريكية ولكنها تمول بمخصصات اضافية بدلا من ذلك، لقد بلغ مستوى الانفاق العسكري الأمريكي حداً صار فيه يتخطى انفاق الدول الاثنتين والثلاثين الأقوى التي تليه من حيث مستوى الانفاق العسكري والقيمة النوعية للموجودات العسكرية ،فقد وصل الانفاق العسكري الأمريكي عام ٢٠٠٤ الى ٤٥٥٣٠٣ مليون دولار بأسعار العام ٢٠٠٣ وأسعار الصرف فيه ، في الوقت الذي بلغ فيه مجموع الانفاق العسكري

فضلاً عن اقرار الكونغرس الامريكي لاقتراح الرئيس (بوش) بزيادة التخصيصات المالية لتمويل الحملات العسكرية على ما يسمى (بالارهاب الدولي) لتصل الى (٢٠٠٠) مليار دولار[٨] وهذا المبلغ يكاد يقترب من نسبة ٢٠% من اجمالي الدخل القومي الامريكي لعام ٢٠٠٠.

ومن ثم فلدى الولايات المتحدة الامريكية قوة عسكرية متفوقة ليس بما تملكه من ادواتها فحسب- ولا مجال هنا لبيان العدد والنوع- وانما لانعدام القوة العسكرية الموازنة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتبعثر قدراته العسكرية التقليدية وحوزته النووية وتوزعها على عدد من الجمهوريات المستقلة عنه، فضلاً عن انهيار حلف ((وارسو)) والى حد ما ((في الوقت الحاضر والمستقبل القريب على اقل تقدير)) تبخر طموحات روسيا الجديدة بدور عالمي يستند الى مجال حيوي طبيعي في اسيا الوسطى واوربا الشرقية حيث تجتهد الولايات المتحدة الامريكية في ضم المجالين الى البناء المتماسك ((للناتو)) وباسلوب تدريجي[٩] بعد ان نجحت في اقناع الشركاء داخل الحلف بضرورات توسيعه لتحقيق السيطرة على قلب العالم في ((اوراسيا)) الذي يغطي منطقة واسعة تمتد ما بين اسيا الوسطى الى جبال ((الاورال)) رغم التكاليف الباهضة لمثل هذا التوسع.

وقد نجحت في وقت سابق اعقب انتهاء الحرب الباردة في اعطاء الحلف دوراً عالمياً جديداً وصفته وزيرة الخارجية الامريكية السابقة ((مادلين اولبرايت)) (بالذراع العسكري اللازم لمواجهة ما اسمته بالنزاعات العرقية والاقليمية خارج نطاق دول الحلف) مؤكدة " بان بلادها ترغب في وضع مفهوم استراتيجي جديد لمهام الحلف مستقبلاً من الازمات الدولية التي تمس مصالح الدول الاعضاء[١٠].

في الدول الأثنتين والثلاثين التالية ٤٥٤٨٦٩ مليون دولار بأسعار نفس العام. لمزيد من التفاصيل ينظر ... التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي، الكتاب السنوي ٢٠٠٥، معهد استوكهولم لأبحاث السلام الدولي ،بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠٥،ص-ص ٤٧٠-٤٧١.

(٨) تبرر ادراة الرئيس بوش زيادة الانفاق العسكري بالضرورة القصوى لاعادة هيكلة القوات المسلحة الأمريكية والموقف الدفاعي الأمريكي لكي يتسنى زيادة عدد ونوع القوات التي يمكنها دحر الارهاب العالمي وتحقيق النصر، وتقديم المساعدة العسكرية والامنية لبلدان أنضمت مؤخرا الى معسكر مكافحة الارهاب كالعراق وأفغانستان، وتوفير استثمارات كبيرة في عدد من القدرات الضرورية لتحول القوات العسكرية الأمريكية وهيمنتها بما في ذلك الدفاع الصاروخي برنامج النظم القتالية المستقبلية وتحديث الجيش واستمرار الانتقال الى الجيل الجديد من السفن وحيازة طائرات قتال ونقل وصهريج متقدمة وسلسلة من البرامج في المخابرات والاتصالات والنظم ذات الصلة. نفس المصدر ،ص ٤٧١.

(٩) لمزيد من التفاصيل بخصوص التوسع التدريجي لحلف الناتو في اوروبا الشرقية وجمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية انظر: د. نزار اسماعيل الحيالي ، دور حلف شمال الاطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد كلية العلوم السياسية، ١٩٩٩.

(١٠) نفس المصدر.

وقد يكون لتأخر اوروبا في القدرات العسكرية وبكل ما تملكه من امكانات في هذا المجال وبفاصل يقدر بـ (١٠ سنوات) عن الولايات المتحدة الامريكية دلالة واضحة على ما تتمتع به الاخيرة من قدرات عسكرية متفوقة(١١).

ثانيا:– القدرات الاقتصادية الامريكية

لقد دخلت الولايات المتحدة الامريكية القرن الحادي والعشرين بناتج قومي اجمالي بلغ في العام ٢٠٠٠ ما قيمته (٩) تريليون دولار من اصل (٣٠) تريليون دولار هو اجمالي الناتج العالمي لنفس العام(١٢)

وفي الوقت نفسه شكل الرأسمال الامريكي ما نسبته ٤٠% من حجم الرأسمال العالمي المتحرك(١٣). واحتلت الولايات المتحدة المرتبة الاولى بين مصدري المال في العالم وبما قيمته (١٥٩) مليار دولار(١٤) . واحتفظت بنسبة اسهام بلغت ومنذ منتصف التسعينات من القرن الماضي حوالي ٢٦% من ميزان التجارة العالمي(١٥).

وتمتلك الولايات المتحدة اليوم النصيب الاكبر في كل من صندوق النقد والبنك الدولي للاعمار والتنمية منذ انشائهما حيث تبلغ حصتها (٤١) مليار دولار بما يجعلها الدولة التي تتمتع باكثر الحقوق الانتخابية فيه كدولة واحدة وبواقع ١٧,٤٣% من مجموع الاصوات داخله(١٦).

وربما يفسر لنا هذا تعاقب الشخصيات الامريكية على رئاسة مجلس ادارة الصندوق وخضوعه للقرار السياسي الامريكي وكأنه احد ادواته الفاعلة.

---

(١١) تقرير مترجم نشرته صحيفة الثورة بعددها المرقم ١٠٤٨٩بتاريخ ١٢ شباط ٢٠٠٢.
(١٢) د. سرمد امين، التكتلات الاقتصادية- دراسة في الاسس واتجاهات المستقبل – وانعكاساتها على اقطار الوطن العربي ، مجلة قضايا دولية، السنة الخامسة، العدد١٥ ، كانون ٢ / ٢٠٠٢ ،ص٦٩... في كل الأحوال تمثل الولايات المتحدة الامريكية واحدة من أعلى درجات تركز القوة الاقتصادية في العالم مع أعلى ناتج محلي اجمالي قومي في العالم زاد على ربع اجمالي الناتج العالمي مع مطلع عام ٢٠٠٥. ينظر...
World Bank; data and statistics; Quick references tables، http: //www .worldbank .org /data / quickreference /quickref.html
(١٣)المصدر نفسه.
(١٤) المصدر نفسه.
(١٥) تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤، ص٣٧.
(١٦) حنان دويدار ، الولايات المتحدة الامريكية والمؤسسات المالية الدولية، مجلة السياسة الدولية العدد١٣٧، يناير ١٩٩٧ ، ص١١٩.

هذا فضلاً عن قيادتها للكتلة الاقتصادية لدول امريكا الشمالية المعروفة باسم ((النافتا NAFTA)) التي تضم الى جانب الولايات المتحدة الامريكية كلاً من كندا والمكسيك.

وفي ذات الوقت تؤكد الولايات المتحدة رغبتها وسعيها لتوسع نطاق((النافتا)) لتشمل دول امريكا الجنوبية تحت اسم جديد هو ((الافتا AFTA)) وذلك بعد ان تستوفي هذه الدول معايير واشتراطات معينة من الناحية الاقتصادية، وكان صدور الاعلان الختامي لمؤتمر قمة ((ميامي)) لدول الامريكيتين عام ١٩٩٤ متضمناً اتفاق دول النطاق على السعي لاقامة منطقة تجارة حرة تشمل النطاق الغربي كله بحلول عام ٢٠٠٨ [١٧].

ان ما ذكر اعلاه يعطي تصوراً واضحاً عن حجم القدرات الاقتصادية الامريكية من حيث ضخامة الدخل القومي الامريكي مقارنة باقرب منافسيه (الاتحاد الاوروبي) وبواقع (٧) تريليون دولار[١٨] واليابان (٤,٦) تريليون دولار[١٩].

ويؤشر ايضاً احتفاظها بدورها المهيمن في التجارة العالمية الذي اصبح لا يستند الى قدرة الولايات المتحدة الامريكية التنافسية في السوق العالمية فحسب وانما الى ثقلها السياسي (والعسكري ان تطلبَّ الامر) والذي يتكفل بفتح المزيد من الاسواق وازالة اكبر قدر ممكن من العقبات التي تواجه نمو صادراتها الخارجية مثلما يؤكد ما ذكر حقيقة احتفاظها بدورها كاكبر مقرض مباشر في العالم مع كل الامتيازات المرتبطة بمثل هذا الدور.

٣- الريادة التكنولوجية الامريكية

تشير التقديرات الى ان الولايات المتحدة الامريكية لازالت في اعلى سلم الابتكار التكنولوجي قياساً الى القوى المنافسة لها خصوصاً وانها كانت السباقة في تبني عصر المعلوماتية وبناء الاقتصاد الرمزي الذي سمح بخلق وتراكم اسس الثروة التكنولوجية الجديدة استعداداً للقرن الحادي والعشرين.

ووفقاً للترتيب الذي اورده دليل التنمية البشرية لعام ٢٠٠١ فقد جاءت الولايات المتحدة في اعلى قائمة الدول القائدة تكنولوجياً من حيث[٢٠]:

---

(١٧) علاء السيد عبد العزيز ، مستقبل السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية تجاه الأمريكتين ، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٧ ، يناير ١٩٩٧، ص١٤٣.
(١٨) د. سرمد امين ، مصدر سبق ذكره ص٧٠.
(١٩) المصدر نفسه ، ص ٧١
(٢٠) دليل التنمية البشرية لعام ٢٠٠١ ، ص٤٨ – ص٥٢.

- عدد براءات الاختراع الممنوحة للافراد المقيمين فيها.
- عائدات الملكية ورسوم التراخيص.
- عدد المستقبلين للانترنت.
- عدد المستخدمين للهواتف النقالة Mobile.
- نسبة الاستهلاك العام للطاقة.
- نسبة اسهام الصادرات الصناعية في مجمل صادراتها الخارجية.
- نسبة صادرات التقنية العالية في جدول الصادرات الصناعية.
- مستوى التأهيل والتدريب والمهارات البشرية.
- نسبة الانفاق على عملية البحث والتطوير R.D والتي بلغت عام ١٩٩٧ (٢,٦) من اجمالي الناتج القومي.

ان الريادة التكنولوجية الامريكية في مجتمع يقوم اساساً على المبادرة والمغامرة هي العامل الرئيس الذي يقف وراء كل عنصر التفوق الامريكي في الميادين الاخرى العسكرية والاقتصادية.

فقد اكد بيان للبيت الابيض نشر في اب ١٩٩٤ بعنوان ((العلم في المصلحة الوطنية)) على ضرورة الاستخدام المزدوج (مدني – عسكري) لنتائج الابحاث التي يتم التوصل اليها استعداداً لدخول القرن الحادي والعشرين كقوة عظمى مسلحة لاتبارى[٢١].

وفي نفس الوقت فقد اصبح هذا العامل وسيلة اساسية في تنشيط الاقتصاد الامريكي وترسيخ عالميته.. فعلى سبيل المثال قدرت المصادر حجم التجارة الدائرة عبر (الانترنيت) في الولايات المتحدة الامريكية بما يعادل حجم الناتج الداخلي في سويسرا[٢٢]. مثلما اصبحت هذه الشبكة وسيلة فعالة لتوظيف النشاط البحثي والعلمي في كل مكان من العالم لصالح الولايات المتحدة التي دأبت على اقامة مواقع دائمة على الشبكة مع المهندسين والباحثين والعلماء في بلدانهم للافادة مما يحملونه من خبرات وانشطة علمية وكأنهم مستخدمين (ولكن عبر الانترنيت)وافلحت الولايات المتحدة مرة ثالثة في توظيف تقدمها التكنولوجي الهائل في وسائل الاتصال لتكريس حقائق الهيمنة الامريكية على العالم، فالاقمار الاصطناعية الامريكية تذرع سماء العالم ولاتبقى شيئاً مخفياً عنها.. كما ان تحكمها بوسائل الاعلام

(٢١) انطوان زحلان، كيف يستطيع العرب ان يستفيدوا من التقانة المتاحة، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٨٩ ، تشرين الثاني ١٩٩٤، ص ١٤٢.
(٢٢) نقلا عن تقرير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية لعام ١٩٩٨.

الرئيسة في العالم ((المسموعة والمقروءة والمرئية)) قد مكنها من التغلغل في عقول وعواطف الانسان المعاصر في كل مكان[٢٣].

ووفقاً للمنطق النظري الذي تم تبنيه في هذا الكتاب يتبين ان الولايات المتحدة الامريكية قد امتلكت اغلب ان لم نقل كل مستلزمات القوة المادية وتمكنت بفضلها من ادارة الصراع طيلة سبعة عقود مع الخصم السوفيتي ونموذجه في البناء والحياة وكسر ارادته في نهاية المطاف ليختار الموت (انتحاراً) اذا صح التعبير مع مطلع العقد الاخير من القرن الماضي ولتنطلق بعدها الولايات المتحدة كقوة عظمى منفردة دون منازع نظر الكثيرون اليها بشي من الاعجاب والاندفاع نحو الاقتباس والتقليد.

غير ان المشكلة بقيت قائمة حينما اغفلت الولايات المتحدة حقيقة ان هناك شقاً اخر للمعادلة يتمثل في توفير الارضية الملائمة لانتشار نموذجها وتعميمه عالمياً وفقاً لقواعد الانتشار الطبيعي في النموذج.. وبدلاً من ذلك فقد استسلم صناع قرارها ومفكروها ومعهم المواطن الامريكي الذي نجحت عجلة الاعلام الامريكية الهائلة في تشكيل شخصيته وجوانب اساسية من تفكيره وقناعاته استسلموا لعنصر المغالاة والافراط في الاستمتاع بلذة النصر التاريخي الذي تحقق على المعسكر الاشتراكي الذي تقوده ((امبراطورية الشر)) السوفيتية السابقة الى الحد الذي افقد القوة المهيمنة توازنها المفترض والمطلوب امام المجتمع الدولي.. وبدلاً من ان تركز الولايات المتحدة على نقل مقومات تقدمها وفقاً لذات المنطق الذي اشرنا اليه سابقاً الى الشعوب الاخرى طبقاً لاسلوب الحوار والتفاعل الحضاري الذي يكرس لها دور النموذج القائد فقد تتابعت الدعوات فيها لاغتنام الفرصة السانحة التي أفرزتها ظروف المرحلة التي يمر بها النظام الدولي لانهاء التاريخ بصدام عنيف بين الحضارات اثباتاً لحقائق القوة الجديدة التي تمسك الولايات المتحدة بزمامها وتكريس هيمنتها على العالم.

وفي الوقت الذي شكل فيه ذلك صدمة كبيرة سواء لاولئك الذين شاركوها في تحمل الصراع ايام الحرب الباردة او الذين بالغوا في الانبهار بمعجزات النموذج الامريكي، فان الامر بدأ للجميع وكأنه انكشاف سريع للغاية لقيم وخصال كامنة في رحم هذا النموذج تكفلت سنوات الصراع الطويلة والحاجة الامريكية الملحة لاظهار اكبر قدر ممكن من الخصال الحميدة لكسب الاصدقاء وتسويق النموذج تكلفت باخفائها عن ادراك حتى اقرب حلفائها، وتلمس الجميع ايضاً طبيعة القيم الجديدة وحقيقة الممارسة السياسية الامريكية التي ترتكز الى نزعات قابعة في البنى النفسية الامريكية ليس اقلها نزعة الشعور بالتفوق

(٢٣) زبينيغيو بريجنسكي ، الفوضى والاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين ، ترجمة مالك منصور، عمان، الاهلية للنشر، ١٩٩٧ ، ص

وكذلك فوبيا الخوف من الاخرين والشك فيهم وعقدة الصراع المستمر الذي يكفل للنموذج الأمريكي استمراريته.

المحور الثاني: العناصر المتحكمة في الفهم الأمريكي لنموذج القيادة

لقد عكست تجربة السنوات الممتدة ما بين العقد الاخير من القرن الماضي والسنوات الاولى من عمر القرن الحالي عناصر اساسية تحكمت بتوجيه السلوك السياسي الأمريكي وشكلت مرجعياته الفكرية في فهمه لمعنى ودور نموذج القيادة العالمية..

ويمكن تحديد هذه العناصر بالآتي :

١. غطرسة القوة:

كان منطقياً ان يتحدث الكثيرون في طبيعة القوة المتفوقة للولايات المتحدة الامريكية ومن ثم تجريب مراحل متفاوتة من التقليد واستنساخ النموذج حتى مع عدم توافر الارضية المناسبة لذلك في كثير من الاحيان.

الا ان الامر الذي لم يكن منطقياً تماماً (او عسيراً على الفهم في اقل تقدير) هو المبالغة في امتداح الذات كخطأ تاريخي ارتكبه الامريكيون عندما تحدثوا عن القوة الامريكية القاهرة والقطب الوحيد الذي لايبارى وعن العصر الامريكي والانسان الامريكي المتفوق.. والاغرب من ذلك تركيز الخطاب الموجه الى العالم على مزايا هيمنة النموذج الامريكي واسقاط قيمه على الاخرين بدلاً من تعميمها.

واذا تركنا جانباً ما سمعناه او قرأناه في السنوات الماضية عن تهافت الساسة الامريكان(سابقين ولاحقين) كروزفلت ونيكسون وجورج بوش الاب وحتى الرئيس السابق بيل كلنتون على الادلاء بدلوهم في تمجيد الذات الامريكية من قبيل دعوة روز فلت الامريكيين الى ((امركة العالم كقدر لهم))[٢٤].

وتعداد نيسكون لفضائل الشعب الامريكي وعقله المبدع الذي حصد اكبر نصيب لامة ما من جوائز (نوبل) مثلما يحتفظ باكبر نسبة اسهام في براءات الاختراع العالمية واظهر ((كرما)) و ((شعوراً بالمسئولية)) نحو العالم بعد الحرب العالمية ما لم تظهره أي دولة كبرى اخرى غيرها[٢٥].

اذا ما تركنا هذا كله جانباً سنجد ان الامر اضحى اعمق من ذلك بكثير عندما ارتبط بمحاولات تأصيل نموذج القوة الامريكي فكرياً من خلال اضفاء طابع ديني واحياناً اسطوري على

(٢٤) نفس المصدر.
(٢٥) ريتشارد نيسكون ، الفرصة السانحة، ترجمة احمد صدقي فرد، دار الهلال ، ١٩٩٢ ، ص١٩٥.

مضامينه، وربطه ايضاً بالافكار العظيمة التي جاءت مع الثورة الفرنسية،... وقبلها برحلة ((المبشرين الاوائل)) الى العالم الجديد والقيم التي حملوها معهم بهدف تأكيد حقيقة التفوق الامريكي حتى في ساحة القيم والمضمون المعنوي للنموذج في محاولة جادة للخروج به عن الاطار المادي لدورة التاريخ وسلسلتها الطبيعية المحددة لنشوء وسقوط الامبراطوريات والقوى العظمى، على اساس ان قوة الافكار في هذا النموذج تقع خارج نطاق هذه الدورة المادية بما يسمح بديمومة عناصر القوة والهيمنة فيه.

ان الاعتقاد بالاصول الدينية للنموذج الامريكي وتغليف الذات والكيان بطابع اسطوري يسترشد بدرجة كبيرة بافكار الاباء المؤسسين التي حددت قطعاً كون المهاجرين الاوروبيين الى العالم الجديد هم شعب (تباركه السماء) او على حد تعبير ((توماس جيفرسون)) بأنهم ((شعب الله المختار ان كان الله قد اختار شعباً قط، وهم الذين جعل الله في صدروهم الفضائل الحقيقية[٢٦].

ان هذا الاعتقاد قد جعل الاباء المؤسسين يبدون وكأنهم ((مبشرون)) وفدوا الى هذه الارض البكر لنشر المسيحية، ثم عبروا سلسلتين من الجبال حاملين رسالتهم عبر القارة لنشر كلمة الله في كل انحاء العالم.. ومن ثم فقد اصبح التاريخ الامريكي((ربما بشكل مقصود)) مشبع بروح الحماسة الدينية رغبة في اداء هذه الرسالة العالمية[٢٧].

ويبدو هذا الاعتقاد بالاصول الدينية للنموذج الامريكي واضحاً جداً في فكر ابرز المنظرين الامريكان وهو ((هنري كيسنجر)) حينما يؤكد على ان ((الولايات المتحدة الامريكية تشعر بأنها مرشداً ومحارباً صليبياً وتؤسس لنظام عالمي طبيعي يرتكز على الديمقراطية والتجارة الحرة والقانون الدولي، وبالتالي لابد للعالم ان يطبق وصفتها الاخلاقية[٢٨]

غير ان فكرة " العهد المرتقب" و" الشعب المختار" تبدو في حقيقتها وكما يقول" دانيال وورنر" اكثر التصاقاً وانتماءً الى عالم الغيب منه الى عالم الشهادة فكان لابد من البحث عن مرجعيات اخرى اكثر واقعية لتبرير النموذج واعلى من حيث المضمون الفكري لها.

ومن هذه النقطة بالذات نعتقد ان الوصل قد حصل ما بين تفسير وتعليل مصادر القوة في النموذج الامريكي وبين الافكار الكبيرة التي سادت منذ الثورة الفرنسية.

---

(٢٦) نورتون فريش وريتشارد ستينفنز، الفكر السياسي الامريكي- البعد الفلسفي في ادارة شؤون الدولة الامريكية، ط١ ترجمة هشام عبدالله، بريوت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩١، ص٣٩.
(٢٧) دانيال وورنر، السياسة الخارجية الامريكية بعد انتهاء الحرب الباردة، سلسلة دراسات عالمية، العدد ١٥، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بلا تاريخ ص ٢٢.
(٢٨)Henry Kissinger, Diplomacy, Simon and Schuster Ltd, London, 1995, p.4.

ويبدو هذا الوصل واضحاً عند ((فرانسس فوكوياما)) صاحب الكتاب الشهير " نهاية التاريخ" الذي يرى واعتماداً على كتابات " هيجل" و " الكسندر كوييف " ان نهاية التاريخ جاءت مع (معركة جينا ١٨٠٦) عندما انتصرت مبادئ الثورة الفرنسية وهو التاريخ الذي اعقبته تطورات كبيرة كالغاء الرق وتوسيع حق الانتخاب ليشمل جماعات مختلفة، ولكنه يبقى التاريخ المسجل لارساء المبادئ الاساسية للدولة الديمقراطية الليبرالية التي ظلت تتسع في انتشارها وبسط ليبراليتها (بطرق متحضرة) حتى لو كان ذلك من خلال الحروب، حتى تعمقت جذورها في سياق انتصارها الحتمي من خلال النظام العالمي[٢٩].

وهكذا نجد ان فوكوياما قد استند الى الانتصار الذي تحقق لافكار معينة بمعزل عن حركة التاريخ خصوصاً عندما اعتقد بان انهيار جدار برلين وسقوط الاتحاد السوفيتي السابق يمثلان انهياراً للتحدي الايديولوجي الذي وضعته الماركسية اللينينية امام الديمقراطية الليبرالية التي ظهرت خلال الثورة الفرنسية وتجسدت في مبادئ الولايات المتحدة الامريكية نفسها.. ومن هذا المنطلق يصبح التفرد الامريكي نابعاً من قوة الافكار التي تعد المحرك الأساسي للنموذج الامريكي اكثر من كونه نابعاً من قوة العناصر المادية فيه..

ويسترشد فوكوياما بحقيقة الدور الذي مارسته الافكار المرتبطة بالحرية والمساواة اللتين تحركان الغرب في اقناع الاخرين بصحتها ومن ثم تقويض دعائم الافكار الاخرى[٣٠].

ويبدو ان فوكوياما قد ذهب بعيداً في استثمار وتوظيف وقائع تاريخية وتحميلها اكثر مما تحتمل خصوصاً حينما فسر الموقف الفرنسي الداعم للامريكيين ابان حرب الاستقلال (١٧٧٥) ضد الانكليز وامدادهم بما يلزم للاستمرار في الحرب، وكأنه تعبير حقيقي عن التوافق الفكري دفاعاً عن مبادئ بعينها، في حين ان الامر لم يكن يتعدى استثمار الفرنسيين للثورة الامريكية للانتقام من خصومهم البريطانيين ثاراً لهزيمتهم امامهم في حرب السبع سنوات ومحاولة بارعة للتخلص من بعض شروط معاهدة " باريس " القاسية[٣١].

---

(٢٩)Francis Fukuyama, The end of History" the national interest, Summer ,1989, P.4

(٣٠)Allan Bloom, Responses to Fukuyama, the national interest, Summer, 1989, P.19.

(٣١) للاطلاع على تفاصيل الاتصالات السرية بين البلاط الفرنسي ورجال الثورة الامريكية والتي تحولت فيما بعد الى دعم علني بالرجال والمال والسلاح بعد ان ادرك الفرنسيين امكانية القوات الامريكية على الصمود والانتصار على القوات الانكليزية، انظر د. عبد المجيد نعنعي، تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الحديث، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٣، ص ٨٢ – ص ٨٤.

وفي كل الاحوال اسهمت تلك الاعتقادات بالاصول الدينية في رسم صورة للذات الامريكية ذات صلة بالتطلع الى عهد السلام الامريكي Pax American الذي يقع خارج خط التاريخ ومقتضياته، وصورة اخرى للولايات المتحدة الامريكية بوصفها هي " الدولة الاولى في العالم وهي القوة العالمية الوحيدة التي تبدو سيادتها ضرورية لجعل العالم اقل عنفاً وفوضى واكثر ديموقراطية واعلى في نموه الاقتصادي[٣٢].

ومن ثم فقد اصبحت فكرة " الدولة المتفوقة" هاجساً يزكيه مخزون هائل من الافكار والمشاعر التي تجعل من المتشككين فيها موضعاً للاتهام بأنهم مغرضون او عديمو الوطنية[٣٣].

ومن ثم كان قيام كيندي بنشر كتابه حول نشوء وسقوط القوى العظمى عام ١٩٨٧ كمن يوجه ضربة مباشرة للخصوصية الامريكية ولفكرة المهمة العالمية المقدسة التي لا تنحصر بسياق تاريخي معين. !! لقد اطلق كيندي الشياطين من عقالها بفصل من كتابه لا يزيد عن ٢٦ صفحة"[٣٤].

٢. الطابع اللا تاريخي للنموذج.

يبدو مبرراً حقاً ان يدفع شعور الأمريكيين بالقوة المتفوقة واعجابهم بأنفسهم في الحياة الى امتداح الذات في مصادرة واضحة لما يجب ان يقوم به الآخرون بدلاً عنهم ليكون الامر اكثر منطقية.

فالمسؤولون الامريكيون صاروا يميلون بشكل طبيعي الى التصرف كما لو ان العالم اصبح احادي القطب.. فهم يتباهون بالقوة والفضيلة الامريكية معا.! وتقترن لديهم الهيمنة الامريكية (بالخير العالمي) ويؤكدون بشكل مستمر في كلماتهم ومحاضراتهم شمولية المبادئ والمسارات الامريكية التي جعلت من النموذج الامريكي مثلاً يحتذى به (مثلما يرى الرئيس السابق بيل كلنتون) وجعلته اذا ما وقف على طوله يرى ابعد بكثير مما يرى الآخرون وفقاً لتحديد وزيرة خارجيته " مادلين اولبرايت" في مؤتمر السبعة الكبار الذي عقد في (دنفر) عام ١٩٩٧[٣٥].وهو قلعة الدفاع عن الديمقراطية في العالم المتحضر والذي لا يتوانى

(٣٢) زنبغيو بريجنسكي ، رقعة الشطرنج الكبرى، ترجمة امل الشرقي ، عمان، الدار الاهلية، للنشر ،١٩٩٩،ص٤٧.

(٣٣)Jonathan Clarke, Leaders and followers "Foreign Policy, winter, 1995 – 1996, P.39.

(٣٤) دانيال ورنر ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٢.

(٣٥) صاموئيل هنتنغتون، القوة العظمى الوحيدة، مجلة الشؤون الخارجية الامريكية، اذار – نيسان، ١٩٩٩. ترجمة وزارة الخارجية العراقية.

أبناؤه عن تقديم أرواحهم دفاعا عن قيم الديمقراطية الجديدة في كل مكان من العالم على حد تعبير الرئيس الامريكي الحالي جورج بوش الأبن.

ان الدوران حول الذات وامتداحها يستند الى حق طبيعي من وجهة النظر الامريكية في قطف ثمار انتصارها التاريخي الذي عملت من اجله طويلاً ولعقود عدة.. في تجاهل واضح لذلك الدور الذي قام به آخرون شاركوهم في صناعة هذا النصر والذين سيصبح محور حركتهم المستقبلية هو الاعتراف بحقائق النصر الامريكي والتسليم بقيادته لعالم ما بعد الحرب الباردة (حتى وان بدا في قطاعات واسعة منه غير مقتنعٍ فكراً وعملاً بذلك) طالما ان تاريخ الولايات المتحدة الامريكية صار مفتاحاً رئيساً لفهم التاريخ العالمي وهو تجسيد حي لحضارة التنوير والديموقراطية التي يجب ان تسود العالم وتحكم من هم ادنى منها من الامم والافراد كارادة خالصة للقدر[٣٦].

وفي حقيقة الامر تبدو الخيارات امام الاخرين ضيقة للغاية.. لان النموذج الامريكي صار تجسيداً لفكرة وصورة " المهيمن الخير" الذي تتجسد عظمته لا في قدرته على تحقيق الهيمنة على الاخرين وادامة تلك الهيمنة وانما من باب القدرة على العمل في مصلحة المجتمع الدولي بشكل عام؛ خصوصاً وان السياسة الخارجية الامريكية تهدف بشكل واعٍ الى الارتقاء بالقيم الكونية [٣٧].

هذا يعني ان هناك عملية استيلاد لمفهوم جديد يحمل في طياته من التناقض اكثر مما يحمله من امكانيات للفهم والتفسير وهو مفهوم " الهيمنة غير الخطيرة" التي تجسدها الولايات المتحدة كقوة عظمى غير استعمارية.. ومثل هذا المفهوم يجسد وبكلمات ثلاثة" على حد تعبير هنتنغتون" تفرد وعفة وقوة الولايات الامريكية[٣٨] في حين ان مفهوم الهيمنة عند الكثيرين ينطوي على معنى لا اخلاقي طالما انه يتضمن فرض الارادة على الاخرين وحملهم على الخضوع بدلاً من اقناعهم بالرضا والقبول.

ومن الطبيعي ان لا تدرك الولايات المتحدة بعد ذلك نفسها كقوة كبرى مثل غيرها من القوى التي عرفها العالم في مراحل تطوره المختلفة، وان لا تستوعب خضوع نموذجها لدورات التاريخ طالما انها تدركه خارج نطاقها وفوق محددات القوانين المعهودة لقيام الامبراطوريات وانهيارها خصوصاً وان قوة

(٣٦)Anders Stephenson, manifest destiny" American expansionism and the empire of right, Hill and Wang, new- York, 1995, P.113.

(٣٧) صاموئيل هنتنغتون، مصدر سبق ذكره.

(٣٨) مفهوم وظاهرة الهيمنة غير الخطيرة ورد على لسان نائب وزير الخارجية الامريكي في ادارة الرئيس السابق كلينتون " ستروب تالبوت" واعاد الدعوة له نائب وزير الخزانة الامريكية في نفس الادارة " لورانس . اج. سوبر " المصدر السابق

نموذجها واستمراريته قد ارتبطت في الذهنية الامريكية (افراداً ومجتمعاً) بمقتضيات الامن والرفاه وحماية مجتمع الحرية والليبرالية..

ويشابه هذا الاعتقاد الى حد كبير رفض " بريجينسكي" ادراج الولايات المتحدة الامريكية في اطار توصيف معروف لاي من النظم الدولية السابقة حينما يؤكد على ان انظمة من قبيل القطب الواحد او ثنائي القطبية او متعدد الاقطاب هو امر لا يستجيب لمنطق الواقع ولا ينسجم مع وضع الولايات المتحدة الامريكية في النظام الدولي الذي نعيشه والذي يجمع بين وجود قوة عظمى مهيمنة ومنفردة وبين اقطاب متعددة.. وفي كل الاحوال وكما يقول بريجنسكي تبقى الولايات المتحدة ..القوى العظمى الكونية (الاولى والوحيدة والاخيرة)[٣٩] الاولى لان احداً لم يبلغ قوتها من قبل والوحيدة في رفض واضح لمنطق المشاركة والاخيرة تطميناً لذاتيته الامريكية التي ترفض فكرة الافول.

ان الرؤية التي تجعل الولايات المتحدة الامريكية خارج نطاقها التاريخي وفوق مستوى الترابط مع الاخرين حتى لو كانوا يمثلون قوى كبرى يتضح بدرجة اكبر في تقسيمها لدول العالم الى اصناف اربعة[٤٠]:

المجموعة الاولى : دول الرعية، وهي قائمة تضم الدول التي تعطيها الولايات المتحدة الحماية والرعاية.

المجموعة الثانية : دول المخزن (دول الاداة) وتضم الدول البترولية الغنية وكندا واليابان والتي يتم تحشيدها لتمويل التحالفات الدولية.

المجموعة الثالثة: دول المشاركة بالتبعية وتضم فرنسا وبريطانيا والمانيا وايطاليا.

المجموعة الرابعة : الدول المستعصية التي لا يتجاوز عددها اصابع اليد والتي يقف في مقدمتها العراق (قبل احتلاله) وايران وكوريا الشمالية.

---

(٣٩) المصدر نفسه

(٤٠) عبد الله عبد الرحمن، النظام الدولي الجديد، صحيفة القدس العربي ، تاريخ ١٩٩٤/٢/٢٢ ، ص١٥.

(٤١)توماس بارنيت،خارطة الشرق الأوسط الجديدة- الحرب والسلام في القرن الحادي والعشرين- http://www.ala7rar.net/navegator,php

(٤٢)عن رحلة المغامرين الأوائل الى العالم الجديد والمجازر الرهيبة التي أرتكبوها بحق سكان البلاد الأصليين من الهنود الحمر انظر.... ممدوح الزيني، هل ستسقط أمريكا مثلما سقط الاتحاد السوفيتي،دمشق،مؤسسة ايمان للنشر،١٩٩٦،ص١٣ وما بعدها.... وعن الحرب الأهلية ونتائجها وأثرها في صيرورة الكيان الأمريكي أنظر.... عبد المجيد نعنعي،مصدر سبق ذكره،ص١٢٢.

(٤٣)كريم حجاج، ملامح الاستراتيجية الأمريكية في القرن القادم، مجلة السياسة الدولية،العدد ٣٣ يناير ١٩٩٧،ص-ص٦٦-٦٧.

(٤٤)المصدر نفسه.

(٤٥)شوقي أبو شعيرة،انتحار الحضارة، ط١،دمشق، الاهالي للنشر والتوزيع، ١٩٩٤،ص٤٧.

(٤٦)المصدر نفسه، ص٤٦.

وفي أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول٢٠٠١ تم اختزال هذه الرباعية ليصبح العالم عبارة عن محورين هما:-

المحور الاول: محور الخير ويضم دول المجموعات الثلاث اعلاه وبقيادة الولايات المتحدة الامريكية.

المحور الثاني: محور الشر الذي يضم دول المجموعة الاخيرة ومعها كل ممثلي ما تسميه الولايات المتحدة بالارهاب الدولي افراداً ومنظمات.

وكان توماس بارنيت كبير منظري وزارة الدفاع الامريكية أكثر وضوحا وانكشافاً من سواه حينما كتب واصفا العالم كونه منقسما أيضا الى مجموعتين هما :(٤١)

أولا: مجموعة الدول المتماسكة والمتواصلة في الثقافة والاقتصاد والتي تشارك الولايات المتحدة الامريكية رؤاها ونظرتها.

ثانيا: مجموعة دول (الفجوة)التي ترفض التحولات التي تجري في العالم خصوصا على المستوى الاقتصادي مشيرا صراحة الى العولمة وأذرعها الطويلة المتمثلة بالشركات العابرة للقومية والاستثمارات الأجنبية وأخيرا الذراع العسكرية التي يجب أن تتحرك في حالة تعويق عمل العولمة في دول الفجوة ، وهنا نرى بارنيت يطالب الولايات المتحدة الامريكية باعلان حرب لا هوادة فيها على العدو الذي يرفض الانخراط في منظومة الاقتصاد العالمي ويعمل على تهديد أمن واستقرار الغرب.

والتقسيم الوارد في أعلاه هو نفس التقسيم الذي جاء به الرئيس الامريكي الأسبق تيودور روزفلت كما سيرد لاحقا وهو أيضا قد خلص الى نفس النتيجة التي تقضي بمسئولية الولايات المتحدة الامريكية عن اخضاع المتمردين لهيمنتها.

ويبقى الهدف الاهم وراء كل هذه التقسيمات هو ابقاء الولايات المتحدة الامريكية في مركز القيادة التي لا تتخيل نفسها بدونه من ناحية ولتعطي لنفسها مبررا سياسيا وربما حتى أخلاقيا لشن حروب طويلة الأجل ضد الأغيار بالمنطق الجديد لصقور البيت الأبيض من اليمين المتطرف من ناحية ثانية.

٣. نظرية التهديد المستمر للنموذج

يبدو ان الذاكرة التاريخية البسيطة لنشأة الولايات المتحدة الامريكية، وما ارتبط بها (رغم محدودية مساحتها الزمنية) من تداعيات وصور لاتنفك تتحدث عن رحلة دموية للامساك بالارض واقتلاع الملايين من ساكنيها الاصليين قتلاً وتشريداً ومن ثم التوسع على حساب الجيران في المكسيك

والحرب الاهلية التي تلت اعلان الدستور والتي كلفت الامريكيين في الشمال والجنوب خسائر بشرية ومالية هائلة بقياسات زمانها.[٤٢]

اضف الى ذلك معضلة التجاذب الامريكي الداخلي فيما يسمى بدبلوماسية ((البينغ – بونغ)) بين نزعتي العالمية والانعزالية في كل مرة تجد فيها الولايات المتحدة نفسها في مواجهة مطلب محدد هو ((ماذا تريد))، ومن ثم تجربة عدائها المرير– بعد ان حسمت خيارها لصالح المهمة العالمية المقدسة اثناء وبعد الحرب العالمية الثانية– مع الاتحاد السوفيتي السابق وايديولوجيته المضادة وانتهاءً بتجربة انفرادها بالسياسة العالمية بعد انتهاء الحرب الباردة ونزعتها لفرض الهيمنة ورفض المشاركة في مواجهة معطيات واقع دولي يميل الى تحقيق اكبر قدر ممكن من التوازن في القوى بما يعزز فرص الامن والسلام في العالم. لقد شكل ذلك كله الاساس الذي ترشحت عنه سايكولوجية امريكية متشككة في المستقبل وايضاً في الاخرين الذي يسعون الى تحطيم وتدمير ((امبراطورية الخير العالمية)).

وقد يفسر لنا ما ذكر في اعلاه الكثير من جوانب السلوك الامريكي– داخلياً– في تحول المواطن الامريكي الى كائن منعزل ومنغلق على ذاته ويرفض أي محاولة لاقامة جسور التواصل معه بسبب خوفه من الاخرين وتفاقم طابع العنف في نفسه وسلوكه، و–خارجياً– قد يكون الامر اكثر وضوحاً وان كان بحاجة الى مستوى اعلى من التحليل ويتجسد في دوران السياسة الخارجية الامريكية حول محور اساسي يتمثل في استشعار تهديد الاخرين للنموذج الامريكي مما يستوجب المبادئة بالفعل والتخطيط للامساك بزمام المبادرة والتحكم باتجاهات المستقبل.

وهكذا يمكن فهم اسباب دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية وتطوير استراتيجيتها العالمية طيلة الفترة التي عرفت بالحرب الباردة عبر زاوية مركزية تعكس القلق الامريكي من ان يقوم الآخرون بمحاصرتها وعزلها سياسياً واقتصادياً عبر ضفتي الاطلسي والباسفيكي.

وبهذا المنطق ستكون رؤية ((جون كينيان)) الاستراتيجية في الاحتواء تعبيراً عن هواجس التخطيط الامني الامريكي ابتداءً من عام ١٩٤٤ التي تؤمن بشكل حاسم في ان التهديد الاكبر للمصالح الامريكية يأتي من احتمال ظهور قوة مهيمنة تستطيع فرض سيطرتها على مراكز القوى في اوروبا واسيا بما يمكنها من تحويل موارد القارتين الى قوة صناعية – عسكرية يمكن توجيهها عندئذ ضد القارة الامريكية او على الاقل توظيفها لتنظيم عزلة الولايات المتحدة سياسياً واقتصادياً من خلال حرمانها من أي منفذ على المحيط الحيوي الشرقي، ومن هنا نظر مسؤلو الامن القومي الامريكي الى الاتحاد السوفيتي السابق على انه القوة الوحيدة القادرة على القيام بمثل هذا الدور وتهديد المصالح الحيوية الامريكية.

وكان الحل الذي عرفه العالم (وعرفناه معه) هو ليس بملأ الفراغ مباشرة وانما من خلال ما عرف ((بالقوة الثالثة)) التي تفصل بين دوائر النفوذ الامريكية – السوفيتية بهدف ضبط الميزان الامني في المحيط الحيوي الشرقي من خلال احياء القوة الاقتصادية والصناعية في كل من المانيا واليابان لتمكينهما من قيادة مجاميع اقتصادية – عسكرية في مواجهة النفوذ السوفيتي في القارتين[٤٣].

ولكننا نعتقد بضرورة النظر الى استراتيجية الاحتواء من زاوية اخرى، فهذه الاستراتيجية التي شكلت الركيزة الاساسية في التخطيط الامني الامريكي ما يقرب من نصف قرن كانت تخفي في ثناياها استراتيجية عالمية اخرى لا تقل عنها اهمية ان لم تكن تفوقها خطراً. وتتمثل في تشييد ثم صيانة منظومة سياسية – امنية تؤازر الهيمنة الامريكية ترتكز الى دمج مراكز القوة الصناعية والاقتصادية في اوروبا واسيا داخل دائرة النفوذ الامريكي منعاً لظهور قوة منافسة قد تذهب بعيداً في منافستها لدرجة تهديد مستقبل الدور العالمي الذي تريده الولايات المتحدة لنفسها.

في عام ١٩٥٠ وامام مجلس الشيوخ الامريكي اقر " دين تشيسون" وزير الخارجية الامريكية انذاك " بان حماية المصالح الامريكية تتعدى الصراع العسكري والايديولوجي مع الاتحاد السوفيتي ؟...مؤكداً انه حتى لو لم يكن هذا الاخير موجوداً، وحتى لو لم يكن هناك شيوعية كنا سنواجه صعوبات بالغة في البقاء ، ملمحاً الى اوروبا واسيا[٤٤].

ثم ان " كينان" نفسه كان يعارض اقامة أي تحالف دفاعي اوروبي – امريكي تقوم بموجبه الولايات المتحدة بمد المظلة الامنية – الامريكية لحماية الشطر الغربي من القارة الاوروبية او الابقاء على التواجد العسكري في الجزر اليابانية على المدى البعيد، في حين ان الولايات المتحدة بذلت ولا تزال قصارى جهدها لاستمرار وجود هذه المظلة بل وتوسيعها ايضاً... وفي كلا الفضائين الاوروبي والاسيوي. في اوروبا يتجسد هذا المسعى عبر المداخل الآتية:

أ. معارضة الولايات المتحدة الامريكية القاطعة لبلورة هوية دفاعية اوروبية كبديل عن المظلة الامنية الامريكية خصوصاً بعد زوال الخطر السوفيتي.

ب. توسيع حلف الناتو في شرق اوروبا واعطاؤه مهام جديدة عالمية الطابع وبقيادتها .

ج. الضغط على اوروبا للدخول شريكاً في مشروع الدرع الصاروخي الامريكي وتبرير هذا الضغط تحت بند ضرورة تضامن الغرب جمعية في مواجهة ما تسميه الولايات المتحدة بالارهاب الدولي.

اما بالنسبة لاسيا فان الامر يتجسد في الجوانب الآتية:

أ. التشبث بالوجود العسكري الامريكي في اليابان والعودة الى المناطق التي سبق الانسحاب منها

كما حصل مع الفيلبين.

ب. اثارة المخاوف من تنامي القدرات العسكرية في كوريا الشمالية وما يمثله ذلك من تهديد لامن المنطقة لتبرير تشديد التواجد الامني الامريكي لاحتواء وعزل ابرز اطراف ((محور الشر)) وفقاً للمنظور الامريكي.

ج. استمرار مخطط جس النبض مع الصين واختبار النوايا بين الحين والاخر واستثمار الورقة التايوانية لابتزاز المواقف الصينية والضغط عليها في الميدان الاكثر حساسية بالنسبة لها.

ان التطورات الكبيرة التي اعقبت انهيار الاتحاد السوفيتي في كلا المنطقتين ابتداءً من حرب يوغسلافيا السابقة الى توسيع نطاق العضوية في حلف الاطلسي وارغام اوروبا على قبول منطق الهيمنة الامريكية الى الانقضاض على تجربة البناء والتنمية الاقتصادية والتكنولوجية في اسيا المحيط الهادي عام ١٩٩٧ –كلها مؤشرات تؤكد ان استراتيجية الولايات المتحدة الامريكية في الاحتواء لم يكن مصدرها الدور العالمي " النبيل " لامبراطورية الخير الامريكية في مواجهة امبراطورية " الشر " الروسية بقدر ما كانت تطميناً لهواجس الشك في التفكير الاستراتيجي الامريكي ازاء اقطاب بارزة في الفضائيين الاوروبي والاسيوي وتطويقاً بعيد المدى لاحتمالات تهديها لواقع حال ومستقبل الهيمنة الامريكية على العالم.

لقد كان ممكناً بالنسبة للولايات المتحدة ان تشعر بالاطمئنان بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وزوال خطر الشيوعية العالمية وان تنصرف الى معالجة اوضاع داخلية متردية اقتصادياً واجتماعياً باتت تهدد مستقبل المشروع الامريكي ذاته، كان ذلك ممكناً لو لم يكن الامر مرتبطاً بـ(فوبيا) الاخرين والشك في المستقبل الذي جعل الامريكيين من جديد في مواجهة السؤال المحدد ذاته " ماذا تريد" وكيف ستتصرف وما هو مصير دورها العالمي الذي لا تستطيع العيش بدونه، وهذا امر يعيه الامريكيون جيداً وقد عبر عنه بشكل متميز نائب نيوجرسي الديموقراطي " بيل برادلي " حينما اكد((حاجة امريكا للعمل من اجل طموح كبير، وهذا الطموح هو هدف مهم يؤكد لنا وضعنا الخاص كمجتمع وكقوة في العالم)[٤٥].

لقد جلب عهد ما بعد الحرب الباردة للامريكيين ليس نشوة الانتصار وانما محنة الانتصار وصاروا تعساء بشكل مرير على حد تعبير ((نورمان اوزنشتاين)) (الخبير في معهد المشروع الامريكي في واشنطن) وبدأوا يظهرون تشاؤماً تجاه المستقبل[٤٦].

وما هو اكثر خطورة بالنسبة لهم هو ان الفراغ الذي تركه غياب الاتحاد السوفيتي كعدو محدد ومعروف قد امتلاء بمنافسين كثيرين وغير محددين يتحينون الفرص للانقضاض على ((رمز العالم الحر)) في كل مكان من العالم وبادوات واساليب مختلفة. حتى اصبح الامريكيون يحلمون باستعادة عدوهم

السابق الذي منحهم شرعية القيادة وامكانية تحديد الاهداف.

ومثل هذا الحلم يبدو واضحاً تماماً في تعليق وزير الخارجية الامريكي الحالي " كولن باول" قائلا " من يدري فقد تأتي لحظة قريبة تقرأ فيها في احدى الصحف المحلية ما يأتي:-

" على امريكا ان تندم على تلك اللحظة التي سمحت فيها بموت الاتحاد السوفيتي السابق والحرب الباردة"(٤٧).

ان فوبيا الآخرين وعقدة المستقبل عند الامريكيين تعكسها الحقائق الآتية:

أ. استعدادها الدائم للحرب وانهماكها بزيادة فعالية اسلحتها ومخزونها تقليدياً ونووياً وكأن ما معها لا يكفيها أو لا يستطيع ان يوفر لها الامن في عالم مليء باعدائها الذين لا يترددون في اغتنام الفرص لإيذائها او الانتقام منها. ان القوة العسكرية العظيمة تبقى عند الامريكيين امراً لاغنى عنه (على حد تعبير مكنمارا) وان الولايات المتحدة تجد لزاماً عليها ان تحتفظ بترسانة نووية وتقليدية بحيث تردع أي دولة من غير استخدام اداة للترهيب ولا سيما ان هنالك بعض الذين يختبرون ارادتها(٤٨).

ب. الكم الهائل من الكتابات التي صدرت على مدى السنوات الاثنى عشر الماضية في امريكا ذاتها والتي تعكس رعباً امريكياً ازاء ما يحمله المستقبل لهم وما يضمره الآخرون تجاههم من قبيل الدعوة لاقتناص الفرص السانحة قبل ان يفعلها الآخرون وفعل ما لم يفعله غيرهم وانهاء التاريخ عند حدود الانتصار الامريكي في محاولة (ساذجة) لاقناع الذات بالصورة الامريكية الاخيرة للعالم.

لقد حررت احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ تلك المخاوف الكامنة واظهرتها للعيان في صيغة رد فعل امريكي (رسمي وشعبي) سريع ومبالغ فيه يتهم العالم اجمع ويتوعد كل من لا يؤمن بالهيمنة الامريكية بحرب لا هوادة فيها، الى الحد الذي دفع بالكثيرين الى الاعتقاد بان شعور الولايات المتحدة الامريكية بالوهن الامني كان لا يقارن بلذة ذاتية تحققت بالعثور على مشروع عدو للمستقبل سيعيد اليها حيويتها التي باتت تفتقدها بعد انكفاء عدوها السابق وسيمنحها ايضاً فرصة الدور الخارجي الذي لا غنى عنه.

(٤٧) المصدر نفسه ص٤٨.

(٤٨) روبرت مكنمارا، جوهر الامن، ترجمة يونس شاهين، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٠ ، ص٥٠.

ويبدو ان دروس الماضي قد حضرت بعبرها لدى الامريكيين فجعلوا سقف المواجهة مع العدو مفتوحاً هذه المرة لا يحده زمن ولا يرتبط بجهة بعينها ليشمل اعداء غير محددين في دورة جديدة للصراع الدولي.

٤. محورية الصراع في النموذج.

قد لا يتسع المجال هنا للدخول في تفاصيل تلك الدراسات التي تناولت بالتحليل اثر المادية الغربية عموماً والامريكية خصوصاً في تكوين سايكولوجية الفرد الامريكي التي تميل بشكل طبيعي الى تفضيل قيم الصراع مع الاخرين على غيرها من القيم داخلياً وخارجياً.

فالمساواة المطلقة افقدت الانسان ميله الطبيعي الى التميز، وخلقت الحرية المطلقة قيودها الذاتية الكابحة، وقيم المغامرة والفردية خلقت شعوراً جمعياً لا واعياً بالقلق والعدوانية في مجتمع يؤمن بالبقاء للاصلح.. ثم ان دعوات السيطرة على الطبيعة والتفوق عليها قد تحولت الى نزعة لتدمير الطبيعة ذاتها بعد ان فتحت امام الانسان بوابات تفجير طاقاته الابداعية لتتحول هذه الطاقات فيما بعد الى عناوين تعود الى ((مجتمع الغابة المتنافسة)) التي تخيلها فيلسوف الطبقة المتوسطة الانكليزية ((توماس هوبز)) في القرن السابع عشر(٤٩).

ولعل نتائج الدراسة التي قامت بها منظمة Public agenda الامريكية عام ٢٠٠٢ تعطي دليلاً واضحاً على تزايد معدلات السلوك الفظ والاناني لدى الامريكيين خلال السنوات الماضية(٥٠).

مضافاً الى ذلك ما أسهمت في وصفه العديد من الدراسات المتخصصة حول تزايد معدلات الجريمة (الفردية والمنظمة) وانتشار نشاطات مافيا المخدرات والسلاح وتجارة الرقيق الابيض والتحلل الاجتماعي..الخ... بل ان في الولايات المتحدة ما لا تعرفه غيرها من المجتمعات الا على سبيل الاستثناء وهي ظاهرة انتشار العقائد المتطرفة والمسلحة التي تمجد قيم العنف والصراع في مواجهة اعداء وهميين ابتدعتهم مخيلة اتباعها الذين يفتقدون الى التوازن الروحي في بنائهم السلوكي، وكانت حصيلة البحث عن مثل هذا التوازن خليطاً من افكار مغلوطة مترشحة عن ديانات مختلفة وفلسفات متفرقة وعقائد مشوهة اطاحت بما تبقى لديهم من اتصال بالواقع ومجرياته.

(٤٩) شوقي ابو شعيره ، مصدر سبق ذكره ص ٢٩.
(٥٠) نقلت صحيفة العراق نص هذا التقرير في عددها المرقم ٧٥٧٤ الصادر في ١٤ نيسان ٢٠٠٢.
(٥١) محمود محمد محمود،الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحادي عشر من سبتمبر- تحولات الفكر والسياسة،مجلة السياسة الدولية، العدد ١٤٧ يناير ٢٠٠٢،ص٦٣.

وانتقلت عدوى قيم الصراع الى السلوك السياسي الخارجي الامريكي في تجسيد منطقي لحقيقتين اساييتين هما:

- ان السلوك السياسي الخارجي لدولة ما هو انعكاس لواقعها الداخلي.
- مرتبطة بالحقائق الاساسية التي فصلتها المدرسة الواقعية الامريكية ابتداءً من منظرها (ثيوثيديس) مروراً (بميكيافيلي) و(بودان) وانتهاء بالمعاصرين امثال (مورغنشاو) و (والتز) و (هنري كيسجنر) في خضم دراستهم للابعاد الصراعية في العلاقات الدولية واتفاقهم من خلالها على عد البيئة الدولية تشكل مصدراً دائماً لتهديد السلامة الاقليمية للدولة وسيادتها واستقلالها، لذلك فان عملية صنع السياسة الخارجية في هذه البيئة تتطلب مجموعة من الاشتراطات الخاصة بالسرية والسرعة والقدرة على الامساك بزمام المبادرة[٥١]. ومن ثم فان القيمة الاساسية في هذه العملية تدور في اطار تصارعي.

ان مراجعة ذاكرة التخطيط الاستراتيجي الامريكي عبر مراحله المختلفة يكشف عن جوانب اساسية تؤكد ما ذكر اعلاه.

فتحديدات (الفريد ماهان)في مطلع القرن العشرين لاولويات السياسة الخارجية الامريكية خلال القرن في صيغة:[٥٢]

أ. تجاه اوروبا : عدم التدخل

ب. تجاه اسيا: التعاون

ج. تجاه النطاق الغربي: الهيمنة

ومثل ذلك مبدأ (ماكندر) في القوة البرية وقلب العالم القابع في اوراسيا الذي يجب الحيلولة دون افساح المجال لاي قوة بالسيطرة عليه ومن ثم السيطرة على العالم اجمع، وربما كانت مساعيها لمد وتوسيع نطاق العضوية في حلف الناتو الحجر الاساس في هذا المشروع.

وايضاً ستكون استراتيجية كينيان في الاحتواء التي سبق الاشارة اليها، ستكون كلها علاقات فارقة في السلوك التصارعي للولايات المتحدة الامريكية فما الجديد اذن في هذا السلوك خصوصاً في مرحلة ما بعد الحرب الباردة؟

(٥٢)د.عباس غالي الحديثي، القوى الكبرى ومجالاتها الحيوية، دراسة جيوبولتيكية في مستقبل الخريطة العالمية، مجلة دراسات الشرق الاوسط ، العدد٤، كانون الاول ، ١٩٩٤، ص٢٢٥.

(٥٣) د. سرمد أمين، صراع الرأسماليات،أوراق استراتيجية،السنة الثالثة،العادد ٨٤آب، ٢٠٠١.

ان متابعة محاور الحركة الاستراتيجية الامريكية خلال هذه المرحلة تكشف عن تبلورها في ثلاث اتجاهات رئيسة للصراع.

الاتجاه الاول: هو الصراع مع الاقطاب الاخرى في البيت الراسمالي.

الاتجاه الثاني : صراع الثقافات والحضارات المتضادة.

الاتجاه الثالث : الصراع المسلح المباشر.

الأتجاه الأول– صراع الرأسماليات

وهو الصراع مع الاقطاب الاخرى في البيت الرأسمالي نفسه والهدف او الغاية النهائية لهذا الصراع هو الاحتواء والتأطير طالما ان المبدأ يقضي بعدم امكانية المواجهة المباشرة بين قوى تمثل دولاً ديمقراطية.

وقد يكون مناسباً الاشارة الى ان الارهاصات الاولية لهذا الصراع قد نمت في احضان سنوات سابقة لنهاية الحرب الباردة تمثلت في خطوطها العريضة بنزعة اثبات الهوية او القومية الاقتصادية والتكنولوجية الاوروبية والاسيوية والتي ستجد طريقها للتعبير عن نفسها سياسياً وامنياً في المستقبل في مواجهة محددات امريكية في هذا المجال. ولطالما عدت الولايات المتحدة ذلك الاتجاه بمثابة هجوم مباشر يستهدفها ويرتدي طابعاً اقتصادياً وتكنولوجياً وتكلفت ضرورات التحالف واحتواء التناقضات بمهمة تكميمه. ولكن ما ان وضعت الحرب الباردة اوزارها وفي غمرة احتفال الرأسمالية العالمية بانتصارها التاريخي على المعسكر الشيوعي وتصاعد خطاب حتمية النموذج الليبرالي في عالم يقترب من نهايته حتى بدأ الحديث عن قرب تفتت جبهة الرأسمالية بعد فقدان عنصر التضامن الذي كان يوحدها في مواجهة الخصم الشيوعي السابق.

ولكن لم يكن احد ليتصور ان الامر سيتعدى فقدان التحالف والتآلف الى حملة تاريخية جديدة ضد النماذج الاخرى للرأسمالية خارج المنظور او الشكل الانكلو– امريكي لها والذي يراد له ان يكون مخططاً وكوني الطابع.

وهي حملة اشبه ما تكون بحملة ((تطهير عرقية)) واسعة داخل النموذج الرأسمالي نفسه لاقصاء حلفاء الامس وتحويلهم الى قائمة الاتباع في عالم جديد ((معولم)) و ((كوكبي)) تقوده رأسمالية جديدة في اعلى مستوياتها واحدث مراحلها التاريخية.. رأسمالية غير راغبة في وجود أي شكل من اشكال المنافسة حتى وان صدرت عن صور ونماذج اخرى للتطبيق الرأسمالي.

وهي اذا ما كتمت حقيقتها الرهيبة هذه لعقود عدة هي المساحة الزمنية التي تكلفها الصراع الذي عرف اصطلاحاً بالحرب الباردة فان ذلك لم يكن الا ادراكاً منها((وهي صاحبة الخبرة الطويلة في ادارة الشؤون الدولية لاكثر من خمسة قرون مضت)) لضرورات الصراع مع الخصم السوفيتي التي اوجبت تأجيل التصريح السافر عن مشاريع الهيمنة التي يتم الاعداد لها والتركيز بدلاً عن ذلك على اخفاء العيوب واظهار اكبر قدر ممكن من ((الخصال الراسمالية الحميدة)) والتسامح الاسلوبي الذي مهد لولادة نسخ ونماذج جديدة للراسمالية في اوروبا واليابان واسيا والمحيط الهادي في حين انه لم يكن الا اسلوباً متميزاً في ادارة الصراع مع الخصوم كخطوات متتابعة في استراتيجية التطويق عبر ((النمذجة))((تطويق الروس من ناحية واحتواء اقطاب صاعدة في اوروبا واسيا وضمان تبعيتهم)) من ناحية اخرى.

فمع انتهاء الحرب العالمية الثانية انبثقت خطة ((مارشال)) للاعوام ٤٨-١٩٥١ والتي تم بموجبها ضخ اكثر من ١٢ مليار دولار على شكل قروض ومنح لاعادة بناء الاقتصاد الاوروبي الذي دمرته الحرب(٥٣). وسمح للاوروبيين الذين كانوا يتلقون المساعدات الامريكية ان يقيموا شبكات اجتماعية متينة للحد من أي نفوذ محتمل للاحزاب الشيوعية في البلدان المجاورة، وهكذا تم خلق نموذج اوروبي للرأسمالية توجهه الحكومة على الصعيد الاجتماعي لتحقيق مستويات امن اجتماعي متميزة تمثلت في استمرار الدعم الحكومي لمستويات المعيشة عبر تقليص نسب البطالة ورعاية اجتماعية وصحية متميزة ورفيعة المستوى وبفوارق طبقية اقل.

وبنفس الطريقة ولذات المبررات خلق النموذج الياباني ((حصناً للعالم الحر)) في اسيا المحيط الهادي في مواجهة الزحف الشيوعي وتهديده لمنطقة ذات اهمية وحساسية بالغة للصراع العالمي، فاقيمت رأسمالية توجهها الدولة وترعاها وتضمنت في ثناياها التاريخ والثقافة اليابانيتيين وتركز هي الاخرى على العمالة والمزايا الاجتماعية ودور التخطيط القوي في الحكومات المركزية واثمرت عن تحول اليابان الى قوة اقتصادية وتكنولوجية عملاقة هي الثانية في العالم بعد الولايات المتحدة الامريكية.

وصممت نماذج اخرى للرأسمالية في اسيا الباسفيكي لتقتدي بالتجربة اليابانية ولتسير على خطاها.

فعندما انشأت كوريا الجنوبية مثلاً عام ١٩٤٨ كان مصيرها يبدو اكثر هشاشة من مصير كوريا الشمالية، ولكن ما ان تحولت الى منطقة استراتيجية في الحرب الباردة ولكي تتمكن من مواجهة الضغط الشيوعي فقد استلمت وعلى شكل دفعات اضخم التجهيزات الصناعية وتدفقت اليها رؤوس الاموال والمساعدات الخارجية التي بلغت ٨% من الناتج الوطني الخام بين عامي ١٩٥٣ – ١٩٦٣ وبما يوازي

ثلاثة ارباع حجم الاستثمارات الاجمالي .

وتم تأسيس شركات متعددة الجنسية مشتركة بين صنّاعين كوريين ويابانيين مكنتها من السير في طريق الخطط المرسومة للتقدم الصناعي والتكنولوجي في كوريا بخطوات ثابتة ومتدرجة(٥٤).

وينطبق الامر نفسه على بلدان الباسفيكي الاخرى التي شكلت مع كوريا الجنوبية ما عرف ((بالتنانين الثمانية ، – هونغ – هونغ ، تايوان ، ماليزيا ، سنغافورة، اندونيسيا، تايلند والصين – والتي احتفظت بنسبة مشاركة عالية في الانتاج الصناعي العالمي وصل الى الربع في عقد التسعينات من القرن الماضي(٥٥).

هنا اصبحت المواجهة ضرورة لازمة من وجهة النظر الرأسمالية التي سماها البعض برأسمالية الاحتكار الضخم وسماها البعض الاخر بالرأسمالية الكونية المخططة وسماها فريق ثالث ((بالرأسمالية المعلومالية)) التي تدمج سلطتي المال والاعلام في حركتها لاعادة هندسة الاقتصاد العالمي(٥٦).

مواجهة بين نمطين من الرأسمالية ، احدهما ذو مضمون اجتماعي يركز على دور الدولة في التخطيط المركزي بفوارق طبقية اقل ومستويات معيشية مرتفعة وادخار عالٍ، والاخر يعتمد الثقافة الاستهلاكية كميزة اساسية ويروج لحكومات صغيرة ملزمة بالعمل لخدمة النشاطات التجارية والصناعية بدلاً من تنظيم هذه النشاطات، وموجهة لتحقيق الارباح مع الالتزام بسياسة عدم التدخل الحكومي في الشؤون الاقتصادية وتشجيع الحدود المفتوحة بين الدول. وتفرز تفاوتاً مفرطاً في توزيع الثروات، وحكومات محلية ضعيفة وشعوباً تقتات مما تحصل عليه بما لا يوفر فرصاً حقيقية للادخار، وتصاحب هذا النمط دورات من الكساد والركود الاقتصادي المتكرر هي في الحقيقة ظاهرة لازمة لوجودها كمحطات انطلاق لدورات جديدة من النمو ولكن على حساب الاخرين طبعاً.

اصبحت المواجهة ضرورة لان قيم النموذج الرأسمالي ذي المضامين الاجتماعية التي تجسد شيئاً من تاريخ وثقافات شعوبها لضمان سيطرة المجموع على الفرد وتوفير العمالة الكاملة ضمن نظام مركزي يوفر رؤوس الاموال الرخيصة الكلفة للمساعدة على تحقيق نسب تشغيل كاملة. هذه القيم اصبحت

(٥٤توماس كورتو وميشال هوسون، على ابواب القرن الواحد والعشرين – اين اصبح العالم الثالث، تعريب نخلة فريفر ، ط١، سرت، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ١٩٩٥، ص٢١٥ – ص٢٢٣.

(٥٥) د. حميد الجميلي، الهيمنة الامريكية واقتصاد القرن الحادي والعشرين، مجلة شؤون سياسية ، العدد ٥، ١٩٩٥ ، ص٥١.

(٥٦) في ابعاد ومضامين الرأسمالية المعلوماتية انظرد. عبد الحي يحيى زلوم، نذر العولمة،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٩٩.

تبحث عن هوية ودور وتعمل على تحصين ساحات حركتها وفعلها الاقتصادي في مواجهة الاخرين بما يجعل منها حجر عثرة امام ما يسمى بالتجارة الحرة وانفتاح الاسواق وفقاً للنمط الرأسمالي ((المعلومالي)) وعائقاً يحد من الهيمنة الامريكية على اقتصاديات هذه البلدان.

ولهذا ولانتقاء ضرورات الابقاء عليها في عالم لم تعد فيه اسباب اضافية للتردد والحرج عادت هذه الراسمالية لتحمل معول الهدم لتدمير النماذج التي سبق وان أدت دوراً اساسياً في اقامتها واعادة بنائها وفقاً لمعايير جديدة تفترضها الراسمالية الكونية المخططة وكأنها تسترد بذلك ما اعطته في سنوات الحرب الباردة ومعه فوائده لهذه السنوات.

لقد اصبح النموذجان وجهاً لوجه هذه المرة، نمط مرتبط باقتصاد انتاجي واخر يقوم على المضاربة والتحريف، نمط يسخر المال ليقوم بدروه الذي عرف عنه تاريخياً في خدمة الاقتصاد ونمط يحوله الى عبء عليه، نمط يسخر المجتمع كله لخدمة النمو الاقتصادي واخر يجعل المجتمع كله في خدمة فئة قليلة متعولمة ولصالحها(٥٧).

وكانت المرحلة الاكثر خطورة في المواجهة قد ابتدأت مع الانقضاض على تجارب التنمية الاقتصادية في اقصى شرق القارة الاسيوية عام ١٩٩٧ والتي استهدفت(٥٨):

أ. تعريض اقتصادات بلدان المنطقة ولاسيما القوى الصاعدة منها ((التنانين الثمانية)) الى هزات عنيفة تؤدي الى تعطيل انطلاقتها السريعة في عالم شديد التنافسية الاقتصادية وحرمانها من احتياطياتها النقدية المتزايدة التي توفر الارضية المناسبة للانفاق على تطوير امكاناتها الذاتية.

ب. زج عملاقي المنطقة ((الصين واليابان)) في الازمات الاقتصادية المفتعلة لزعزعة مكانة واستقرار هذين الاقتصادين ودفعهما لخسارة مماثلة في احتياطياتها النقدية التي تكرس لمواجهة رياح هذه الازمات خصوصاً وان هذه الاحتياطات باتت شبحاً يهدد لا بشراء امريكا من الداخل فحسب وانما باحتلال مواقعها في كثير من مناطق العالم عبر بوابة المنافسة التوزيعية.

ج. التمهيد لدخول بلدان المنطقة في لعبة الارتهان للقرار الاقتصادي والسياسي الامريكي من خلال اشتراطات مؤسسة ((بريتون وودز)) وفتح المجال واسعاً امام الاستثمارات الاجنبية ((الامريكية طبعاً)) بعد ان يتم تعديل التشريعات الادارية والحكومية التي تسمح بالمزيد منها.

(٥٧) المصدر نفسه.
(٥٨) د. سرمد عبد الستار امين ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٠٥.

ولما كانت الولايات المتحدة تدرك ان ذات الاسلوب قد لا يعطى بالضرورة الثمار نفسها في اوروبا وعلى غرار ما حصل في اسيا نجد انها تجتهد في دفع اقطاب المال في اوروبا لخسارة احتياطاتها النقدية عبر استنزافها في مجالات متعددة ابرزها:

أ. الانفاق على اعادة تأهيل الاقطار الاوروبية في شرق القارة تمهيداً لدمجها في البنية الرأسمالية.

ب. تمويل مشروع توسيع حلف الناتو باتجاه وسط وشرق اوروبا وفي مرحلة لاحقة باتجاه اسيا الوسطى.

ج. تمويل الحملات العسكرية الامريكية ((تحت غطاء التحالفات الدولية)) التي تتابعت منذ نهاية الحرب الباردة وحتى يومنا هذا ولفترة قادمة غير محددة والتي بلغت ذروتها مع احداث ١١ ايلول ٢٠٠١.

الاتجاه الثاني– صراع الحضارات–

وهو صراع ذو طابع شمولي بين الحضارات ((المتعارضة)) وعلى خطوط التصدع الثقافي والديني بينها وغايته النهائية ((اسقاطية قيمية)). وهنا يتم توسيع نطاق الصراع ليتجاوز حدود الدول القومية الى مواجهات تاريخية بين حضارات لا تجد نقاطاً كافية للالتقاء فيما بينها حتى لو كانت ذات صلة بالمتغيرات التقنية والاقتصادية المعاصرة التي اصبحت تفرض درجات اعلى من التداخل والاعتمادية.

ومنظرو الولايات المتحدة الامريكية وفي مقدمتهم صامويل هنتنغتون مقتنعون تماماً بان الدولة كالحضارة تتعرض للهجوم من كل حدب وصوب، وهكذا هو حال الحضارة الغربية في سعيها لنقل قيمها ومرتكزات تقدمها الى الحضارات الاخرى والتي تصطدم بنزعات مضادة لها تدفع باتجاه الصراع.

وتشبه هذه الرؤية الى حد بعيد رؤية ((ثيودور روزفلت)) لدور الولايات المتحدة الامريكية العالمي حينما اعتقد بان التاريخ يسير في خط مستقيم من البربرية الى الحضارة مروراً بمرحلة وسيطة او عبر قومية وهي مرحلة الاستبداد! وقد استغل روزفلت هذه الفكرة لتقسيم العالم الى قسمين:

- القسم الذي ينعم بالحضارة الغربية المسيحية وعلى رأسها ممثلوها من الشعوب الناطقة بالانكليزية.
- والقسم الذي يعاني البربرية والاستبداد.

وبالطبع فان الحضارة وفقاً لهذا التقسيم تتسع بصورة تدريجية ، ومن ثم فان الامبراطورية بوصفها حامل لواء الحضارة هي تعبير عن الضرورة التاريخية لاقامة النظام بالقوة في الجزء غير المتحضر من

العالم، ويرى رزوفلت ان تاريخ الولايات المتحدة في احدى صوره هو تجسيد لهذه العملية[٥٩].

ويتضح ان نطاق هذا الصراع هو العالم باسره وسيكون طرفاه الغرب في مواجهة الآخرين ويستطيع مثل هذا النوع من الصراع ان يوفر للولايات المتحدة الامريكية الاهداف الآتية[٦٠]

أ. خدمة الاهداف الاستراتيجية للغرب بقيادة الولايات المتحدة بعد نهاية الحرب الباردة لتبقى على راس العالم الحر(المتحضر).

ب. التلاؤم وهدف اعطاء قراءة موحدة لجميع الصراعات الجارية في عالمنا المعاصر حينما يقدم ((نظرية شاملة)) يمكن من خلالها تفسير الصراعات والحروب الاهلية في دول اوروبا القديمة المتعددة الجنسيات وفي الشرق الاوسط وبحر الصين مع كون نظرية كهذه لا تصلح الا لمجموعة بشرية لم تدخل بعد عتبة الحضارة نفسها ولا يمكنها ان تدرك النتائج المترتبة على صراعات من هذا النوع خصوصاً مع المنطق المتهافت لمرتكزاتها.

فالاختلافات بين الحضارات هي اختلافات طبيعية وتدخل في دائرة الاختلاف لا في دائرة الخلاف ، وهي ثمرة قرون طويلة من التاريخ ولن تختفي في الوقت القريب، ثم ان الحروب الحقيقية جرت عادة داخل الكتلة الحضارية الواحدة وليس بين كتلتين او كتل حضارية مختلفة[٦١].

وينسجم هذا النوع من الصراعات مع النزعة الامريكية في تجميد قيم الصراع الدولي، ولعل تجربة العامَيْن الماضيين على وجه التحديد في ميدان تحليل للسلوك السياسي الامريكي تجعلنا اكثر قناعة بان الولايات المتحدة قد تحولت من مرحلة التمهيد النظري لهذا النوع من الصراع الى مرحلة الخوض فيه او على الاقل ضرب الحلقات الابتدائية فيه والمؤدية اليه. ان اعلان الحرب الصليبية اثر احداث نيويورك وواشنطن وتقسيم العالم الى محاور للشر واخرى للخير وحتميات المواجهة وتفعيل التناقضات التي لا يحسمها الا خيار العنف المسلح ابرز دليل على ذلك.

الاتجاه الثالث– الصراعات المسلحة.

---

(٥٩)Stephenson, op. Cit, p. 106.

(٦٠) د. عامر حسن فياض ، صامونيل هنتنغتون وتصام الحضارات ، اوراق استراتيجية ، السنة٣، العدد ٩٣ ، ٢٠٠١.

(٦١) المصدر نفسه

ويتجسد هذا المحور في التوظيف المباشر للقدرات العسكرية الامريكية لتطويع اطراف رافضة لمنطق الهيمنة الامريكية، وغايته النهائية هي الاخضاع عن طريق (القسر).

ودائماً تجيد الولايات المتحدة التمهيد لحركتها المقبلة، فنزع صمام الامان الذي يحول دون انهيار القيود المفروضة على تصعيد الصراعات الداخلية والدولية فتح الباب واسعاً امام تحقيق الاطماع بشكل لم يسبق له مثيل داخل الدول وخارجها استثماراً لمثل هذه الصراعات ونتائجها.

واثيرت معها مفاهيم جديدة تدعو الى الاسترشاد بدرجة اقل بالمعايير التقليدية للسيادة.. ((فقد تنشأ اوضاع يصبح فيها التدخل الخارجي فيما يبدو انه من الامور الداخلية لدولة امراً ضرورياً وله ما يبرره من حيث النتائج المحتملة لانشطة محلية سيكون لها بغير ذلك التدخل تداعيات دولية[٦٢].

يجري ذلك في ظل فرضية اساسية تؤكد " ان احداً لم يعد يهتم بالتقسيمات الحدودية الجغرافية التي تحدد داخلها دولاً ذات سيادة" [٦٣].

وان هناك شرعية جديدة تكتسبها الان فكرة قيام بلد بادارة شؤون بلد اخر من اجل انقاذ نفسه، فبعض الدول بموجب هذه الافتراضات لا تستطيع ان تحكم نفسها، واستمرار وجودها والعنف والانحدار الانساني الذي تعيشه يشكل تهديداً لاستقرار جيرانها، وهنا تبرز بالنسبة لمروجي هذه الافتراضات قضية اخلاقية " ان على العالم المتحضر رسالة : ان يخرج الى هذه المناطق التي يحكمها اليأس ليحكمها هو !![٦٤].

وتطبيقاً لهذه الافتراضات" التي وضعوها بانفسهم دون مشاركة من احد" اصبحت الولايات المتحدة الطرف الاكثر استخداماً للقوة المسلحة في النظام الدولي الجديد ومنذ الايام الاولى لاعلان قيامه وباستثمار كامل لشعاراته، فمن العدوان على العراق واستمرار فرض الحصار الشامل عليه بشكل يناقض كل الاعراف والقوانين السماوية والوضعية الى الحرب في الصومال وبعدها يوغسلافيا السابقة وافغانستان والتدخل العسكري في الفيلبين الى حرب احتلال العراق وتحضيرها لحروب جديدة في ايران وسوريا ولبنان، ولا احد يعلم من سيدخل قائمة المطلوبين في المستقبل.

وفي كل واحدة من حالات استخدام القوة هذه كان الهدف المعلن اكثر غرابة من العمل نفسه.. الدفاع عن الديموقراطية والشرعية الدولية واحترام القانون. وتتجلى المفارقة في ان الولايات المتحدة

(٦٢) شوقي ابو شعيره، مصدر سبق ذكره ص ١٧١.
(٦٣)المصدر نفسه، ص١٧٢.
(٦٤) المصدر نفسه ، ص١٧٤.
(٦٥) مالك عوني ،مصدر سبق ذكره،ص٩٦.

تستخدم السلاح لتحقيق هدف النظام الدولي الجديد في عالم اكثر سلاماً وابعد عن شبح الحروب الباردة منها والساخنة على حد سواء، وتستخدم العنف المفرط لتحقيق الديموقراطية والدفاع عن حقوق الانسان، ولا تعترف باي قيد او رادع قانوني في حركتها الخارجية لتحقيق هدف الشرعية الدولية..!!!

وفي الوقت الذي تحارب فيه الولايات المتحدة ما تسميه بالنزعة العسكرية عند من تصفهم بالمارقين واقطاب الارهاب الدولي فاننا نقرأ في تقرير صدر عن البيت الابيض في شباط ١٩٩٦ بخصوص اولويات استراتيجية الامن القومي ان القوة العسكرية تظل عنصراً لا غنى عنه لقوة الولايات المتحدة ، فهي يجب ان تحتفظ بقوات عسكرية كافية لمنع التهديدات المختلفة وعند الضرورة للقتال ضد اعدائها والانتصار عليهم(٦٥)

ويؤكد التقرير انه رغم وجود عناصر عدة تسهم بشكل اساسي في امن الولايات المتحدة ورفاهيتها الا انه يوضح اقتناع الادارة الامريكية بانه لا يوجد عنصر متفرد اكثر اهمية من الرجال والنساء في القوات العسكرية بما يتميزون به من كفاءة واخلاص(٦٦).

ويؤكد مرة اخرى ان الولايات المتحدة ستستخدم القوة عندما يجب عليها ذلك، وسوف تعمل مع الاخرين عندما تستطيع ولكنها ستعمل بشكل منفرد عندما يجب عليها ذلك(٦٧).

وعن مصادر التهديد لأمن الولايات المتحدة الامريكية كمجتمع حر ومفتوح فقد حدد التقرير طيفاً واسعاً منها وعلى النحو الآتي(٦٨):

- انتشار النزعات الاثنية.
- التهديد الذي تطرحه (الدول العدوانية) للاستقرار الاقليمي.
- انتشار اسلحة الدمار الشامل.
- التدهور البيئي الواسع النطاق الذي يتفاقم بسبب النمو السكاني السريع الذي ينذر بتقويض الاستقرار السياسي في بلدان ومناطق كثيرة.
- تزايد قوى الارهاب المنظمة والجريمة الدولية وتجارة المخدرات.

(٦٦) المصدر نفسه ، ص٩٦.
(٦٧) المصدر نفسه، ٩٦.
(٦٨)المصدر نفسه ، ص٩٤-٩٥.
(٦٩) صاموئيل هنتنغتون، مصدر سبق ذكره.

ولنا ان نتخيل المدى والنطاق الذي سيبلغه الاستخدام الامريكي للقوة العسكرية في مواجهة تحديات كهذه لا تبقى شيئاً خارج طائلة تحولها الى مصدر لتهديد الامن القومي الامريكي ابتداءً من شعور الانسان بوجوده وكيانه القومي وانتهاء بالسلوكيات الفردية والجماعية، الداخلية الخارجية والنمو السكاني...الخ الامر الذي يتطلب استجابة امريكية فاعلة ازاء القوى التي تعمل داخل وايضاً خارج حدودها.

المحور الثالث... كيف يبدو النموذج الامريكي عالمياً.

بعد الذي فصلناه في الصفحات السابقة بخصوص عناصر القوة المادية في النموذج الامريكي ورصيدها القيمي الداعم، يتبقى لنا ان نعرف الاثر الذي تركته عملية دمج هذين العاملين في تشكيل وتوصيف السلوك السياسي لقوة عظمى وحيدة.

وقد يكون مفيداً واكثر موضوعية ان نترك هذه المهمة لصاموئيل هنتنغتون نفسه ليكشف عن ملامح اساسية صارت لصيقة بالدور العالمي للولايات المتحدة الامريكية.. وسنكتفي بالتعليق عليها او ايراد بعض الامثلة بقصد التوضيح.

يرى هنتنغتون ان صورة الولايات المتحدة الامريكية وسياستها صارا مرتبطين وعلى نحو واضح بالتوجهات الآتية[٦٩]

- ممارسة الضغط على الدول الاخرى لتبني نمط القيم والممارسات الامريكية التي تتعلق بحقوق الانسان والديموقراطية خصوصاً.

وهذا الاتجاه يشير صراحة وكما اسلفنا الى السعي الامريكي لاسقاط نسقها القيمي على المجتمعات الاخرى دون اعتبار لخصوصيات الشعوب وطرقها في التفكير والممارسة السياسية التي تسترشد بما وصل اليها من عبر مستمدة من خزينها الحضاري وتراثها الثقافي والروحي.

- منع الدول الاخرى من امتلاك القدرات العسكرية التي ربما تواجه التفوق التقليدي الامريكي.

واصبح هذا الاتجاه ركناً اساسياً في التخطيط الاستراتيجي الامريكي تبرره متطلبات حماية الامن القومي الامريكي الذي اصبح كما راينا من قبل يشمل قضايا عديدة ويغطي مساحات واسعة من العالم، وهذا يعني اضفاء الشرعية على التوسع في استخدام القوة العسكرية لتدمير قوى اقليمية ناهضة تعتبرها الولايات المتحدة مصدر تهديد لوجودها ومصالحها.

- فرض القوانين الامريكية على المجتمعات الاخرى خارج حدود الولايات المتحدة الامريكية.

وقد يكون هذا التوجه اسوء ما في القيم الجديدة للسلوك السياسي الخارجي للولايات المتحدة الامريكية. وكان لهذا التوجه اولياته اثناء الغزو الامريكي لبنما عام ١٩٨٣ حينما قررت الولايات المتحدة اعتقال رئيس البلاد الجنرال ((مانويل نوريغا)) ومحاكمته في الولايات المتحدة وطبقاً لقوانينها واستناداً الى التهم التي وجهتها الادارة الامريكية اليه.

ومرة اخرى وبشكل اكثر غرابة احالة المقاتلين الافغان من حركة طالبان وتنظيم القاعدة الى المحاكم العسكرية الخاصة في الولايات المتحدة بدلاً من عدّهم اسرى حرب تسري عليهم اتفاقيات جنيف الخاصة بمثل هذه الاحوال.

- ترتيب الدول وفقاً لتقيدها بالمعايير الامريكية بشأن حقوق الانسان والمخدرات والارهاب وعدم الانتشار النووي ونقل تكنولوجيا الصواريخ ومؤخراً الحرية الدينية وتطبيق العقوبات ضد الدول التي لا تلبي المعايير الامريكية حول هذه المواضع.

وهنا تتصرف الولايات المتحدة كحكومة عالمية تنفرد بتحديد قيم النظام الدولي الذي تقوده وتهيمن عليه.

- ترويج المصالح الامريكية تحت شعارات التجارة الحرة والاسواق المفتوحة.

وهذه هي ابرز نتاجات العولمة في جانبها الاقتصادي السياسي فشعارات كهذه صارت مدخلاً لهيمنة مراكز الراسمالية الكونية المخططة التي تقودها الولايات المتحدة الامريكية على الاقتصادات الوطنية وتحويلها الى اقتصادات طرفية تابعة.

- رسم سياسات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي من اجل خدمة تلك المصالح.

ولعل تجارب الكثير من بلدان العالم النامي وحتى المتقدم مع اشتراطات الصندوق كفيلة بكشف الحقائق الرهيبة لسياساته. ففي الازمة الاقتصادية التي عصفت باقتصاد المكسيك عام ١٩٩٥ تدخل الصندوق كمنقذ اخير مقابل ضمانات بالسداد تمثلت في رهن ثروة البلاد النفطية لصندوق النقد الدولي والتي تم تأميمها عام ١٩٣٦، وكأن الولايات المتحدة ومن خلال الصندوق قد استردت ما سبق انتزاعه منها ومعه ارباحه لتلك السنوات.

وخلال ازمة الاقتصادات الاسيوية عام ١٩٩٧ حمل الصندوق التشريعات الحكومية والنظم الادارية والمصرفية في هذه البلدان مسؤولية الانهيار الاقتصادي فيها مشترطاً لتدخله الالغاء السريع لها والسماح بالمزيد من الانفتاح امام الاستثمارات الاجنبية (الامريكية طبعاً) وانسحاب الدولة من القطاع

العام وتفكيكه واطلاق قوى السوق لتفرض قوانينها الخاصة في اوسع عملية لتدمير اقتصادات هذه البلدان والسيطرة عليها.

سابعا: التدخل في الصراعات المحلية التي لها مصلحة مباشرة قليلة فيها.

وهنا تبدو الولايات المتحدة الامريكية نموذجاً استثنائياً في هذا المجال ، فلا صراع محلي (سياسياً كان او عرقياً او طائفياً) في منطقة ذات صلة بالمصالح الامريكية حتى لو كانت في حدها الادنى الا وكان للولايات المتحدة يدٌ فيها.

- اجبار الدول الاخرى على تبني سياسات اقتصادية واجتماعية تخدم المصالح الاقتصادية الامريكية.

ويتمثل هذا الاجبار في الدعوة الى التحول نحو اقتصاد السوق والخصخصة وفقاً لما يسمى بـ (اللبرلة المؤدلجة) التي تستهدف القضاء على القرار الوطني المستقل اقتصادياً وسياسياً تحقيقياً لمطلب التبعية.

- ترويج مبيعات الاسلحة الامريكية في الخارج بينما تحاول منع مبيعات مشابهة من دول اخرى.

وفي الوقت الذي يمنحها ذلك احتكاراً واسعاً لسوق تجارة السلاح الدولية بعائداتها الضخمة فانه يعطيها افضلية التحكم باتجاهات ومجريات الصراعات المحلية والاقليمية، والامثلة على ذلك كثيرة جداً، ففي الوقت الذي تمنع فيه الولايات المتحدة توريد تقنيات عسكرية معينة الى الاقطار العربية بحجة حفظ الاستقرار في الشرق الاوسط فانها تعمل على تزويد الكيان الصهيوني بكل احتياجاته العسكرية لادامة زخم تفوقه على العرب تقليدياً ونووياً.

ومرة اخرى ضغطت الولايات المتحدة الامريكية على روسيا الاتحادية للتخلي عن عقود ابرمتها مع ايران لتوريد اربعة محطات نووية بقيمة مليار دولار في (مركز بوشهر النووي) بحجة ما يشكله ذلك من اضرار بالسلم والامن الدوليين من جانب طرف يرعى الارهاب (ايران) يسعى لامتلاك السلاح النووي رغم تأكيد الروس حصولهم على ضمانات الامان والتحقق من شروط الاستخدام من الجانب الايراني، وتكمن الغرابة في ان الولايات المتحدة كانت قد زودت كوريا الشمالية في وقت سابق بمحطات وتقنيات نووية مشابهة.

- تجيير الامم المتحدة لصالح سياسة الولايات المتحدة الخارجية وليس اقلها عزل الامين العام للامم المتحدة واملاء تعيين خلف له.
- تصنيف بعض الدول بالخارجة عن القانون او محور الشر بقدر ابتعادها عن الاستجابة للسياسة الامريكية.

ومرة اخرى تعود الولايات المتحدة لامتداح ذاتها كونها امبراطورية الخير الاولى في العالم التي لابد وان يبارك العالم صراعها مع محور الشر عن طريق الوقوف خلفها في اوسع حملاتها العسكرية لمحاربة اطراف هذا المحور.

اذا كانت صورة النموذج الامريكي عند ابرز منظريها قد اصبحت على هذا الحال فكيف يراها الآخرون اذا؟..

في عام ١٩٦٥ ذكر الرئيس الفرنسي الاسبق " شارل ديغول" ((ان الولايات المتحدة قد تنجح فيما تريد، لكنها ترهق نفسها باكثر مما تستطيع احتماله وقد تصل الى حالة الافلاس وتصل بنا جميعاً الى حالة خطرة لانها قد تحاول انقاذ نفسها من ذلك المصير بابتزاز الاخرين والسطو على موارادهم))[٧٠]..وقد كان ذلك استقراء صادقاً للمستقبل حيث تبدو الولايات المتحدة. الان اكبر قوة استغلالية في العالم تمارس السطو عل خيرات الاخرين وموارادهم تحت ذرائع مختلفة لتغطية تكاليف الهيمنة التي اصبحت اكبر من قدرتها على الاستجابة لها! وتمارس الاضطهاد والقهر ضد الشعوب وتفرض بالقوة هيمنتها على العالم الى الحد الذي استفزت فيه حتى مشاعر حلفائها من الاوروبيين لتدفع بهم الى التفكير بالخلاص من زمن الهيمنة الامريكية وانتقاد سلوكها السياسي الخارجي البعيد عن كل منطق..

وقد عبر وزير الخارجية الفرنسي الاسبق " ميشال جوبير" عن مقت شديد لمثل هذا السلوك حينما وصف الولايات المتحدة الامريكية " انها قد صنعت من نفايات المجتمعات الاوروبية"[٧١].

في حين استغرب نائب وزير خارجية سنغافورة ((من استطاعة بضع مئات من الامريكيين التاثير في حياة عدة مليارات من الاسيويين ومفاهيمهم وقيمهم))[٧٢])

لقد اصبح نموذج العالم الحر المفتوح الذي تمثله الولايات المتحدة الامريكية مرتبطاً لدى شعوب العالم بالظلم والعنف المفرط الموجه ضد الاخرين وبالسلوك الانانى الفظ في الميادين كافة، وصار المقت الذي تكنه هذه الشعوب لنموذج القوة العظمى يتخذ اشكالاً وصيغاً متنوعة في التعبير عن نفسه ، فهل يكفي للدلالة عليه ان العلم الامريكي يحرق ويداس بالاقدام بوصفه رمزاً للطاغوت العالمي، في كل عواصم

(٧٠)د. خير الدين عبد الرحمن ، القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين ، ط١، دار الجليل للطباعة والنشر ، ١٩٩٦ ، ص ١٧-١٨.

(٧١)المصدر نفسه،ص١١.

(٧٢) د. محمد جواد علي، اليابان والنموذج الجديد في تحقيق توازن الاقتصاد العالمي، مجلة افاق عربية، السنة ١٧، العدد٩ ايلول ١٩٩٢ ، ص٤٣.

الدنيا وان المسؤولين الامريكان يواجهون مظاهرات عارمة تندد بهم وتطلب اليهم مغادرة العواصم التي يقومون بزيارتها في كل مكان من العالم.

ونعتقد بان الوصف الامثل لنموذج الولايات المتحدة الامريكية كقوة عظمى مهيمنة قد جاء على لسان المفكر الفرنسي ((روحية غارودي)) بقوله ((ان العالم يعيش مرحلة تمتاز من دون سواها بالهيمنة التقنية والعسكرية الساحقة لامبراطورية ليس لها مشروع انساني يمكن ان يعطي معنى للحياة وللتاريخ[٣٧].

لقد عززت تجارب استخدام القوة العسكرية واحتلال كل من أفغانستان والعراق بشكل مباشر صورة الولايات المتحدة الأمريكية كقوة استعمارية جديدة أعادت الى الذاكرة صور غادرها المجتمع الدولي منذ زمن ليس بالقصير تسعى الى جني استحقاقاتها الى الحدود القصوى ولو أدى ذلك الى موت شعوب بأكملها وتشويه صورة ودور المنظمات الدولية القائمة عبر تحويلها الى أدوات فاعلة في سياستها الخارجية وبشكل يتقاطع مع وظائفها الأساسية وتحريف مضمون القوانين والاعراف الدولية لتؤدي دورها في خدمة المصالح التي لا يمكن التخلي عنها واعادة نظام التحالفات العسكرية ضد الآخرين كما هو الحال في الفترة التي أعقبت تشكيل النظام الدولي بموجب معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨ وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية.

– نظرة في مستقبل النموذج الامريكي –

ان حقائق التقدم المادي هي تعبير عن ذكاء انساني خارق وعظيم ، غير ان اهميته تتضاءل وينحرف عن هدفه عندما يفقد بوصلته الروحية الهادية ويبتعد عن المضمون القيمي الايجابي المطلوب لانتشار النموذج وعالميته.

وبتطبيق هذا الدرس التاريخي على واقع حال النموذج الامريكي يتبين ان التقدم المادي فيه قد انفصل عن الفضيلة وقيم الانسانية وعن الحضارة ، بل اصبح يتكرس على حساب الحضارة ذاتها، فعمق هذا الحال شعور الامريكيين بعظمة القوة وارهاصات الانا والاستعلائية وتمجيد قيم الصراع الذي يشد

الارض طولاً وعرضاً شرقاً وغرباً لتحويل القرية العالمية التي هي نتاج التقدم المادي الى قرية لدفن الحضارة من خلال القضاء على الركائز الروحية والحضارية للشعوب واجتثاثها من الجذور وزعزعة الكيانات القائمة ليتمكنوا من تحقيق نزعة الهيمنة التي تسكن العقل الامريكي وكأنهم ((يسعون الى اعادة كتابة تاريخهم من جديد كما فعلوا عند اكتشاف الارض الجديدة في القارة الامريكية))[٧٣].

لقد كرس سلوك النموذج الامريكي حقيقة اساسية وهي عجزه عن التحرر من المنظور الحضاري الضيق والمتمثل في عقدة الصراع والخروج الى حيث رحابة الحوار مع الاخرين والبحث عن بدايات جديدة لعلاقات الامم ببعضها واستلهام دروس التاريخ بدلاً من انهائه وتعزيز روابط الثقة بين الشعوب بدلاً من انتهاز الفرص لتقويض الحضارة الانسانية.

لقد افقد كل ذلك التجربة الامريكية رؤيتها التاريخية الحضارية وغفلت عن اشياء جوهرية في التعامل مع التاريخ ومع الامم فخسر نموذجها جاذبيته وفرصة الانتشار بسبب تداعي المرتكزات الاخلاقية والفكرية التي يستند اليها..

واذا ماتفاعل هذا الافلاس الاخلاقي والقيمي مع افلاس أو تدهور مادي في أي مرحلة لاحقة ولأي سبب كان فان الشيء الأكيد هو أن النموذج الأمريكي سيسير في نفس الطريق الموصلة الى المصير السوفيتي وسيخضع عندها نموذجها لمنطق التاريخ ودورته الحاكمة لنشوء وسقوط القوى العظمى عبر التاريخ.

لقد جاء النموذج الأمريكي من وجهة نظر الكثيرين في عالمنا المعاصر بالخراب الى الكثير من المناطق الاقليمية في اطار حركة واسعة للتفكيك واعادة التركيب فيها بما يتفق و استحقاقات القوة العظمى المنفردة بالنظام الدولي الجديد حتى لو كان ذلك على حساب الشعوب ومصالحها وحقها في تقرير المصير وحتى لو أعاد ذلك الى الأذهان صوراً قاسية من الماضي الاستعماري المقيت الى الذاكرة الحية للمجتمع الدولي وتسبب في فوضى دولية عارمة وتصاعد معدلات العنف واستخدام القوة في العلاقات الدولية الى الحد الذي يهدد بنسف الجهود الكبيرة التي بذلت عبر النظم الدولية السابقة لترسيخ قيم التعاون الدولي وتكريس الامن والاستقرار الدوليين، أنها عودة جديدة لروما القديمة بثياب مغايرة ولكن بهدف مماثل وهو الهيمنة ، ومن الطبيعي أن تتمخض عن هذا المنهج صور متنوعة من الرفض والمقاومة لإعادة الأمور الى

(٧٣) الياس فرح،الثقافة العربية والعولمة، جدل العام والخاص، صحيفة الرأي البغدادية،السنة الأولى،العدد ١٩٩٩،٥،ص٧.

نصابها وسيثير ذلك بدوره رغبة عارمة في نفس القوة العظمى لاثبات الوجود وكسر ارادة الخصوم وستكون المحصلة دوامة من الحروب والدماء التي قد تدفع بالعالم الى حرب عالمية ثالثة سبق وأن هدد الرئيس الامريكي الحالي جورج بوش باشعالها في حال عدم انصياع ايران للمطالب الأمريكية بالتخلي عن طموحاتها النووية، الامر الذي أثار رعب المتخصصين من السهولة التي يمكن أن تندلع بها مثل هذه الحرب التي قد تحمل معها نهاية الانسانية والنوع البشري الى الأبد.

وليس مستغربا في هذه الحال على من يتعامل بهذه الكيفية مع الحروب العالمية أن يخوض حروبا اقليمية وبفواصل زمنية لا تزيد على العامين من أجل ما يسميه بالمصالح الحيوية التي لا يمكن قبول حتى فكرة المشاركة فيها؟.

ومن هنا صار العالم بفضل هذا الفهم لقوانين القوة واستحقاقاتها أقل أمنا وحيوية والتزاما بالقيم والقواعد والقوانين الدولية وأكثر تشرذما وتفككا ونزوعا الى مراكمة القوة بمستوياتها المختلفة مما أثر سلبيا في مستويات النمو الاقتصادي العالمي وزيادة التباين في هذا النمو بين العالمين في الشمال حيث الرفاهية والتقدم وفي الجنوب حيث الفقر المدقع وفوق ذلك الاستعداد المؤلم لمواجهة غرب لا يكل من استنزاف الآخرين والتحكم بمصائرهم في كل مرحلة فاصلة في حياة النظام الدولي.